الأنامل المرتعشة والأنامل الواثقة

رواية

رضوة فتحي

اسم الكتاب: الأنامل المرتعشة والأنامل الواثقة

اسم الكاتب: رضوة فتحي

رقم الإيداع: 9956 / 2019

الترقيم الدولي: 978-977-835-108-8

الطبعة الأولى: 2019

إخراج داخلي: هيام فهيم

صادر عن: مؤسسة زَحمَة كُـتَّاب للثقافة والنشر

15 ش السباق – مول المريلاند – مصر الجديدة – مصر

www.za7ma-kotab.com

دار زحمة كتاب للنشر

za7ma_kotab_publishing

za7ma-kotab@hotmail.com

01205100596

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

لمؤسسة زَحمَة كُـتَّاب للثقافة والنشر

الإهداء

أهدي هذه الرواية إلى كل من علمني حرفًا في الحياة.

أهديها لكل من أنارلي شمعة في طريق الظلام،

لكل من أعطاني كأس ماء بارد في صحراء جدباء،

قد لا أذكره أو أتذكره، ولكن الله يذكره.

أهديها إلى كل إنسان يرغب في التعلم،

ويسعى جاهدًا بكل الطرق لتصحيح أخطاءه ومجاهدة نفسه.

إلى أيام عمري الذي لم أضيعه هباءً؛

كنت في حرص دائم على تعلم المزيد من خبرات الحياة، ونفع الغير بها.

أهديها إلى كل أسرتي .. أحبائي .. رفقاء الحياة.

أهدي هذا العمل إلى كل إنسان إبتغاء توصيل العلم،

ورغبة في تدارك البعض للأخطاء الذي قد يقع فيها بجهالة.

وأخيرا .. أهديها إلى ربي ابتغاء مرضاته، ولعله يرضى عني.

رضوة فتحي

غيوم ورعد وبرق وأمطار سوداء تحمل الغضب، أتبكي الدنيا على نفسها أم تبكي على أبنائها؟! دائمًا ما يثير المطر في قلوبنا الأحزان فنتذكر حبيبًا غائبًا أو حلمًا فائتًا أو رفيقًا واراه التراب أو صحيحًا أذاقه السقم مرارة الأيام وخذلان الإخوان أو مخادعًا كان ومضى وترك لنا مرارة الغدر والأحزان.

إن الشتاء لا يعني عند البعض إلا لوحة حزينة تتكاتف ألوانها معًا وتنبض بألم دفين لتشعرنا بالخوف والشجن والفراق فيعكس الشتاء ما في أنفسنا من غيوم وآلام.

كيف يقرن بعض الناس بين الشتاء والرومانسية أو الشتاء والإثارة؟! يكفي أن أقسى درجات العذاب في الآخرة هي الزمهرير أي شدة البرودة، وهل هناك ما هو أشد إيلامًا وقسوة من البرودة والصقيع؟ بالفعل لا.

يكفي أن نتخيل حمامًا باردًا في ليلة من ليالي الشتاء القاسية إنها تكاد تكون أشبه بسكاكين تقطع أجسادنا ..... فليس هناك ما يجلد النفس مثل الشتاء.

وجه جميل مثير جذاب لعل أجمل ما فيه غموض يعتريه حزن في بعض الأحيان.

ما زالت جاذبية بعض النساء لغزا كبيرا لم يحله أعتى الرجال وليس له أي معايير دقيقة تصرح به. فلا هو قوام ممشوق تتمايل صاحبته في كل اتجاه لتعلن عن أنوثة صارخة فقد تتمتع بالجاذبية من لم تملك جمال القد ولا هو جمال الوجه والملامح ... فالكثيرات من النساء يتمتعن بوجوه جميلة ولا يملكن أدنى قدر من الجاذبية ... ولا هو مرتبط بجمال الروح ولا جمال الصوت ولا بأي جمال ... إنه سر وهبه الله لبعض الناس دون الآخر ليظلوا وجوهًا مؤثرة. وجوه لا تمحى من الذاكرة بسهولة، وجوه تترك بصماتها في أي مكان تذهب إليه ... قد تكون نعمة وقد تصبح نقمة.

لا يدري أي منا إلى أي شيء تسوقه أقداره؛ فكل منا يعيش قدره رغمًا عنه؛ فاليتيم لم يختر أن يفقد والديه ولا من تربي في أحضان العائلة والعزوة له الفضل في ذلك فكلنا نعيش أقدارنا شئنا ذلك أم أبينا.

يمتعض وجه نسرين ويتلوى في هذه الأجواء الشتوية المرعبة فغالبًا ما يعكس الخوف من الشتاء نفسية مضطربة خائفة ليس لديها أي شعور بالأمان ... ومع ذلك لا يزيدها النفور والامتعاض من هذا الجو إلا جمالًا وجاذبية كعادتها.

نسرين في الثامنة والعشرين من عمرها، قوام لافت وأنوثة متوهجة تعلن عن نفسها بعنف وبوضوح. وجه جميل جذاب لا تعرف سره للوهلة الأولى، تشعر بغموض في قسماته، وجه يستوقف من يراه رغمًا عنه. ملامح يكسوها شجن، وحزن عميق من الداخل لا يدركه إلا ذوو البصيرة، وجه مؤثر لا تستطيع نسيانه مهما فعلت.

تنهدت نسرين وهي تغلق باب شقتها هابطة على درجات السلم شاردة بخيالها كعادتها.

ربما ضاقت نسرين وترددت في الخروج أكثر من مرة بسبب سطو عيون الرجال واغتصابهم النظرات المرة تلو الأخرى وهل هناك من النساء من سلمت من نظرات الرجال وتفحصها سواء كانت نسرين أو غير نسرين؟!

نسرين .... هكذا ناداها محمود زميلها ليلفت نظرها إلى أن البرنامج الهندسي التي تقوم بتصميمه ما زال ناقصًا.

نسرين مهندسة ماهرة ومتميزة في عملها ربما نتيجة للعديد من الدورات التي درستها في مجال الكمبيوتر وغيره من المجالات الأخرى فإن نسرين لا تترك أي فرصة للتعلم مطلقًا إلا واغتنمتها.

وهكذا يجب على كل فتى وفتاة أن ينهلوا من العلم قدر استطاعتهم وألا يتركوا أي فرصة للتعلم وزيادة المهارات إلا اغتنموها.

يخطئ كل منا حينما يعتقد أن أي فرصة للتعلم حتى لو كانت في غير مجاله لن تزيد من رصيد خبراته ومداركه في الحياة.

إن النفس التي تنهل من العلم لن تهزم أبدًا ولن تغلبها مخاوف أو أزمات حتى لو أخطأت يومًا وشردت عن الطريق سيعيدها علمها وثقافتها بأمر الله إلى رشدها وتوازنها ... ولن يسمو أو يرتفع عليها أحد لأن قوتها تكمن في عقلها ... فالجسد قد يهرم ويذبل ولكن العقل حتى وإن هرم فلن يفقد حكمته وبريقه أبدًا .. فقديمًا قالوا: اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد.

إن صاحب العلم والثقافة يرى الدنيا بمنظور لن يراه أحد مثله ولن يدركه إلا من كان من أرباب الثقافة مثله ... فللأسف الشديد نحن أمة (اقرأ) أمة لا تقرأ.

إن المرأة التي تنهل من العلم أكبر قدر هي في الواقع تتسلح بأسلحة أشد فتكًا من الأسلحة النووية.

إن أي تجربة أو خبرة يمر بها الإنسان تثقله وتسهم في اتساع مداركه رغمًا عنه ... فيرى الدنيا بمنظور مختلف وبزوايا متعددة.. يرى الكثير من الحقائق التي لا يدركها الجميع ... قد تكون ممتعة في كثير من الأحيان وقد تكون محزنة بل صادمة في أوقات أخرى.

فكلما عرفت أكثر نضجت أسرع وتكشفت لك الأمور بشكل أوضح ولكن للأسف ربما صدمك الكثير منها ولكننا مطالبون بطلب العلم على أي حال فعلى العلم نؤجر وعلى الحزن نؤجر وفي كل حياتنا نجازى.

مصر وحدها فقط التي لا تلقي بالًا للثقافة العامة فلا يعرف الطبيب فيها أي شيء سوى الطب ولا المهندس يدري أي شيء خارج تخصصه وقلة من البشر هي التي لديها القدرة على الاطّلاع على مجالات أخرى في غير تخصصها.

كثيرًا ما تترك نسرين هذا العالم بأسره لتلقي بنفسها في أحضان كتاب يأخذها بعيدًا عن تطفلات البشر وسخافتهم فتدخل بيوتا لم تدخلها من قبل وتصافح وتصادق أناسا لم تسمع عنهم قط إنهم أناس لا يؤذون ولا يغتابون ولا ينمّون .... إنهم أناس لا يربطهم بها أي غل دنيوي أو حقد أو تنافس، إنهم أناس افتراضيون .... فالناس لم تعد نقية كما كانت من قبل فلا وجود لأغلب القيم في مجتمعاتنا اليوم.

إن عالم الكتب هو خير الأصدقاء خاصة في هذا الزمن. آخر شيء ممكن أن يفعله البشر في هذه الأيام ... إنه التجارة الكاسدة دائمًا في عالم الاتجار.

على كلٍّ أنصتت نسرين جيدًا إلى زميلها محمود ولم ترفع عينيها عن الملف قدر أنملة، فمحمود يلتهمها بعينيه كلما نظرت إليه ولا يخفى عن أحد من زملائها في الشركة إعجابه بها ورغبته في الارتباط بها، إلا إنه لم يكن فارسها المنتظر في خيالها، كثيرًا ما لفتت نظرها إليه زميلتها الحيزبون إيناس في أكثر من مرة وتعجبت لماذا لا توافق عليه وأين هي تلك الفتاة التي تزوجت من فارس الأحلام وبخاصة في مصر حتى تنتظره هيَ.

وربما كانت رغبة دفينة بداخل إيناس في ألا تظفر نسرين بفارس الأحلام الذي تتمناه ومن ثم لا ترى في عينيها السعادة العارمة التي تزيد عيونها جمالًا إلى جمالها فتشتعل الغيرة والحقد في صدرها ... فغيرة وحقد إيناس لا ينطفئان أبدًا... فإن بداخلها طاقة من الحقد والحسد لا يضاهيها فيها أحد ولا أحد يعرف لماذا هي كذلك؛ فلقد حباها الله بالكثير من النعم إلا أنها لا تدرك ذلك أبدًا فنظرتها إلى ما في يد غيرها أسرع منها إلى ما في يديها.

إنها صاحبة نفس عليلة لا تستمتع بأي شيء في الحياة ولا تشعر بقيمته إلا إذا استشعرت بأن هناك من ينقصه ذلك الشيء وأنه متألم لذلك.

نعم إيناس لا تعرف قيمة الأشياء إلا بهذا الشعور المنحرف ولا ندري ما سبب هذا الشعور المنحرف الخالي من سمو الأخلاق، فالنفس السوية تتألم لآلام الآخرين، فالله فطرها على حب الخير لغيرها بل قرن بين ذلك وبين الإيمان فقد قال رسول الله ﷺ:" لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ".

ولكن لا ندري ما هو سبب انحراف فطرتها؛ فمن خلال معرفة نسرين لها أدركت أنه ربما حرمانها من الكثير من الأشياء في طفولتها وعدم تقويم ذلك الشعور من والديها وعدم بث مكارم الأخلاق بداخلها ربما كان ذلك السبب .. فربما كانت إيناس ضحية دون أن ندري.

لماذا يحقد ويحسد البعض مهما امتلك من أشياء ولماذا يقنع الآخر سواء امتلك أو لم يمتلك؟ على كلٍّ لا يعلم النفوس وما بداخلها إلا الذي خلقها فالنفس البشرية لا يعلم أسرارها إلا الله الذي خلقها ما الذي يشقيها وما الذي أشقاها وما يسعدها وما يحزنها.

في كل مرة تتناقش هي وإيناس حتى يصطدما فلا هي تستطيع إقناعها ولا نسرين تصدق نواياها النبيلة ... فلا يخفى على أحد أبدًا غيرة إيناس منها ولا غيرة الكثير من النساء عمومًا من بعضهن البعض.

ولم تسلم نسرين من غيرة النساء طيلة عمرها ولا من غيرة زميلاتها في العمل فالغيرة نار تشتعل في الصدور ولا يطفئها شيء إلا الإيمان والتقرب من الله وجهاد النفس في ذلك.

كثيرًا ما كان يسمعهم عم كمال ثم ينظر إلى نسرين نظرة لها مغزى معين تجاه إيناس وكأنه يريد أن يحذرها من غيرتها منها إلا أنه لا ينبسُ ببنت شفة فعم كمال رجل يقدر قيمة الكلمة.

عم كمال العامل المسؤول عن الدور بأكمله الذي يقع فيه مكتب نسرين رجل محنك في الحياة رغم عدم تلقيه العلم في المدارس. كثيرًا ما يستوقف نسرين حسن تصرفه في الأمور وحكمته أكثر من مديرها نفسه فتدرك أن الحكمة ليست بقدر العلم وإنما هي رزق من الله سبحانه وتعالى فهو وحده يؤتي الحكمة من يشاء.

وضع عم كمال أمامها فنجانًا من القهوة بعد إلقائه التحية عليها هي ومحمود ودعا لنسرين دعاءه اليومي الذي اعتادته نسرين منذ أن عملت في الشركة منذ ستة أعوام. نسرين تحب دعواته لها بل تنتظرها في بعض الأحيان فالدعاء كاليد الحانية التي ترفق بنا ونسرين في أمّس الحاجة إلى هذه اليد.

انتهى محمود من ملاحظاته وذهب إلى مكتبه وانتهت نسرين من بعض الملفات التي أمامها وأخذ الهدوء يسري في الشركة رويدًا رويدًا بعد خلوها من العملاء.

لم تكن رانسي زميلتها وصديقتها الحميمة حاضرة اليوم فهي لا تكف عن الانتشار بين المكاتب وإشاعة جو من البهجة والسرور فهي كالفراشة المحلقة في كل مكان. تفتقدها نسرين عندما تغيب فهي التي تصنع البهجة في يومها..... فرانسي تمتلك شيئًا من الطفولة والنقاء التي ترتاح إليها نسرين وتميل إليها.... ولذلك تحبها كثيرًا.

أرجعت نسرين رأسها إلى الخلف قليلًا وساعدها هدوء المكتب والهواء المعتدل في شبه غفوة بسيطة فذهبت إلى هنااااااااك. بيت يعم بالحياة فالأم تنادي على الأبناء لتناول الإفطار فإفطار يوم الجمعة دائمًا مقدس في البيوت المصرية لأنه اليوم الذي يجتمع فيه أفراد العائلة كلها

ها هو الأب جالس يقرأ جريدته كعادته كل صباح والأم ذاهبة إيابًا وعودة ما بين المطبخ وحجرات أولادها.

لم تنتبه نسرين إلى صوت أمها ومن ثم ذهبت الأم إلى حجرتها ودفعت الباب بعصبية ونظرت إلى نسرين التي استيقظت من دفع الباب فتلاقت الأعين في عتاب ولوم.

قالت لها أمها في عنف وعصبية: ألم تسمعيني يا نسرين؟

وما زالت نظرات اللوم والعتاب موجهة إليها كما هي ثم انخفضت عيونهما معًا إلى السرير التي تركته نسرين للتو ... فهذه عادة أمها دائمًا.

تقسو كثيرًا أمها في نصحها إلى حد تشعر معه نسرين بالإهانة وسواء كان عن رغبة من أمها في إصلاحها أو سوء تقدير للموقف فهي في النهاية من تُجرح وتدفع الثمن.

لا عزاء للأمهات في التوجيه بقسوة ولو زعمن حسن النوايا ورغبتهن في الإصلاح فما دخل الرفق في شيء إلا زانه؛ فقد قال رسول الله ﷺ:" لا يكون الرفق في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه"، وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال لعائشة:" إن الله يحب الرفق في الأمر كله "، وقال رسول الله ﷺ:" إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه "، وقال رسول الله ﷺ:" من يحرم الرفق يحرم الخير ".

إن نظرات والدة نسرين كثيرًا ما جلدت نسرين فهي شخصية حساسة مرهفة الحس ... والشخصية الحساسة بطبعها تجرح من أقل شيء بل في بعض الأحيان من لا شيء.

إن نظرات أمها اللائمة لها تحاصرها في كل حين وفي كل مكان وزمان مهما يمر العمر والزمان

فنحن لا ننفصل عن طفولتنا حتى آخر يوم في أعمارنا ... فمن زرع الورد في الصغر فلن يحصد صبارًا في الكبر ... سيظل طول العمر يجني وردًا والعكس بالعكس صحيح.

احضنوا أولادكم بدلا من أن تؤنبوهم وتلوموهم فالأحضان والقبلات خير علاج.

على كلٍّ انصرفت أمها عنها وهي تقول لها: الإفطار جاهز ...

هي تحبها لا خلاف في ذلك.

دخلت نسرين إلى حمام غرفتها المنفصل والمميز عن باقي الغرف لم تعرف لماذا اختصتها أمها بهذه الغرفة ربما لأنها الأخت الكبرى أو ربما لم ترق لها هذه الغرفة.

لم تشعر نسرين يومًا بأن لها تميزًا خاصًّا أو احترامًا مميزًا أو إعزازًا أكثر من أخيها ربما على العكس فقد كانت تشعر أنها الأقل دائمًا ربما للوم أمها المستمر وعتاب أبيها الدائم لها ربما طبيعة شخصيتها الحساسة التي تفرض عليها هذه المشاعر إجبارًا؛ فدائمًا الشخصية الحساسة تحلل أي تصرف ولا تتركه يمر مرور الكرام وللأسف ودائمًا ما تأتي بالنتائج ضدها وليس معها.

ربما هي طبيعة نولد بها ولكن من المؤكد أن ما يزيدها ويجعلها تصل إلى نقطة ضعف هي التربية الخاطئة للوالدين. يخطئ الآباء والأمهات عندما يتخيلان أن تربية الأبناء شيء يسير. إن كل الأزواج في بداية زواجهم يتخيلون أن ابنهما سيكون الابن المثالي المثابر وأنه وحده من سيتعلم الصلاة والصوم في سن مبكرة دون أقرانه وأنه سيكون الأول دائمًا ثم لزامًا سيدخل كلية الطب أو كلية الحلم المصري.

كثيرًا ما تمنيت أن يصبح الاختيار حرًّا للكليات على حسب موهبة كل شخص وإحساسه بما يتفق مع ميوله وتمنيت أن أرى ما سيحدث هل سيحدث توزيع عادل للطلبة على الكليات ..... أعتقد لا.

ستصبح مصر كلها أطباء ولن يحتاج أي شخص إلى الذهاب إلى الطبيب أبدًا لأن العائلة الواحدة كلها سيصبح بها كل تخصصات الطب وبالتالي لن تجد جيب أي طبيب إلا خاويًا ..... وبالتالي لن يجد أي شخص ما يحتاجه في المجالات الأخرى من هندسة وزراعة وتجارة وسباكة ... ومن ثم ستختل موازين كل شيء.

إذن التنوع في المجالات رحمة من الله عز وجل لتستمر الحياة ولنكن في احتياج كل منا إلى الآخر.

إذن فلماذا نجلد أبناءنا إذا لم يوفقوا إلى دخول كلية الطب .... منطق غريب لا أتصور أنه موجود إلا في مصر.

كثيرًا ما رأيت من صديقاتي اللاتي لم يكن لهن أي ميول طبية في يوم من الأيام أو أصدقائي الذين لا تتسم شخصياتهم وطبائعهم مع دراسة الطب وقد أصبحوا أطباء بعد تشديد الأهل عليهم في المذاكرة أو رغبة منهم شخصيا في كلية القمة فقط دون أي ميول حقيقية ... ثم لا أجدهم بعد التخرج سوى أطباء فاشلين ولو تركوا له العنان في اختياره لربما أصبح شاعرًا بارزًا أو مهندسا مرموقا أو إداريا ناجحا جدًّا

أو رجل أعمال. لا ليس هذا هو المهم، الأهم أن يكون اسمه دكتور ولا يهم أنه لم ينجح في حياته الطبية إلا في علاج حالة أو حالتين من أسهل الحالات المعروفة للعامة فكل ذلك لا يهم المهم هو لقب طبيب والأدهى والأمرّ أن الكثير منهم يصبح غير متوازن نفسيًّا.

لو خيرت بين أن يكون لي ابن طبيبًا أو ابن سعيدًا سأختار أن يكون سعيدًا لأن سعادته ستكون سر نجاحه في أي مجال سيكون فيه.

يخطئ الوالدان عندما يتخيلان أن تربية طفل وصناعته أسهل ما يكون وأنها لا تحتاج إلى علم؛ لأنهما ببساطة يتعاملان مع طفل صغير ومع عقلية صغيرة بالتبعية فهل يعقل أن يوليا لها كل هذا الاهتمام؟! بالطبع لا. لذا سنربيهم كما تربينا.

في الواقع ليس هناك عقلية صغيرة؛ فالطفل كيان يتعلم في الصغر ما لا يمكن تعلمه في الكبر حتى لو أراد.

إن الآباء الذين يقسون على أولادهم ليجعلوا منهم أفرادا ناجحين بنسبة مليون في المائة دون أدنى مراعاة للفروق الفردية أو النفسية ... في الواقع هم يدمرون أبناءهم ويوجهون إليهم رسالة قاسية مفادها أننا لا نحترمك ... ولن ينسى هذه الرسالة أبدًا حتى لو صار عالمًا.

ولعل من أكبر الأمثلة على أثر الطفولة على سلوك الإنسان ... هتلر ذلك الزعيم الألماني النازي الذي اشتهر بالسادية والتخلص من أعدائه بطريقة وحشية فقد دمر العالم كله ... ذلك لأن طفولته كانت مدمرة حيث تعرض للاغتصاب أكثر من مرة، كان طفلا لقيطا تربى في الملاجئ وأخذ يتنقل بين بيوت المتبنين الذين يأخذونه لفترة ثم يتركونه، وبعضهم قد يعتدي عليه فأصبح مع الوقت قنبلة موقوتة تريد أن تنفجر بأي شكل وتدمر كل شيء ثم أنهى حياته باحتسائه السم ليموت منتحرًا.

وهناك الكثير من النماذج التي كان سبب عقدهم النفسية هي الطريقة الخاطئة لتربية الوالدين لهم في الصغر ... وللأسف القليل من الأشخاص الناجحين الأسوياء هم نتاج تربية صحيحة ... فالتربية فن وعلم يحتاج إلى قراءة وتعلم وتعب وكد وليست بالفطرة.

وإن لم يكن للطفولة الدور الأكبر في حياة الإنسان فكيف صنع الرسول صلى الله عليه وسلم من الأطفال رجالًا يقودون الجيوش في عمر السادسة عشرة، إنها حسن التربية التي تحترم عقل الصغير تحترم مشاعره آلامه أحزانه اهتماماته.

في طفولة نسرين من الوهلة الأولى التي ينظر فيها أي شخص إليها خاصة إن كان من ذوي البصائر يدرك أنها طفلة غير سعيدة؛ فالألم النفسي يُطبع في النفس ومن ثم

يُطبع رغمًا عنا على الوجه شئنا هذا أم أبينا .... لكنها بالرغم من ذلك كانت تلهو وتلعب ككل الأطفال في مثل سنها فالطفولة لا تعرف الشجن والأحزان.

استيقظت نسرين فجأة من غفوتها التي لم تغفُها يومًا إلا وأفاقت على كابوس.

يبدو أن نفوسنا عندما تكون مُتعبة فإنها تعاقبنا وتلومُنا وتؤنبنا بكوابيسها عقابًا لنا على ما اقترفناه في حقها وعلى كم المشاعر السلبية التي نختزنها في عقلنا اللا واعي ... فكلٌّ يعاقب بطريقته.

تنهدت قليلًا واعتدلت في جلستها؛ فقد كانت في سفر طويل مدته هو سنوات عمرها السابقة ... وإنها لرحلة ليست باليسيرة.

طرقات منتظمة على باب غرفتها لا تعلم لماذا جعلتها تنتبه فجأة وتنظر إلى الباب باهتمام شديد ... ربما كانت لا تزال شاردة فأفزعتها الطرقات بشدة وربما ذكرتها بشيء ما لا تدركه الآن وستفصح عنه الأيام المقبلة.

ربما هذا يؤكد فكرة أننا عشنا حياتنا هذه من قبل في عالم آخر لا نعرف جيدًا تفاصيله، وربما يكون هذا هو التفسير الوحيد المعقول بشعورنا بأن بعض المواقف التي نمر بها قد حدثت بالفعل من قبل أو أن بعض الأماكن تبدو مألوفة نفسيًّا لنا وكأننا زرناها مرات عديدة قبل ذلك.

نظرت نسرين إلى صاحب الطرقات، كان شابًّا لم تره من قبل يبدو أنه عميل جديد، وعلى الرغم من أنه يرتدي ملابسه بطريقة منمقة إلا أنه يبدو عليه الطابع الريفي، فالريف كما هي المدن تترك طباعهًا علينا رغمًا عن أنفسنا.

شاب طويل معتدل القوام عريض المنكبين واسع الصدر .... لم يحرك أي ساكنٍ بداخلها وإن كانت طرقاته قد استرعت انتباهها .... لماذا؟؟؟

لا تعلم .... قد تفصح الأيام عن شأن له معها وقد لا يكون شيئًا على الإطلاق.

ألقى عليها السلام بدون أي ابتسامة أو علامات ترحيبية وبدون أي تلطف دائمًا ما يفعله أي شخص يأتي طالبًا خدمة من أحد كما أن أسلوبه يخلو من التلطف الذي يكون عادة من الرجل تجاه المرأة .... على كلٍّ لم تجد منه ما يعاملها به الرجال دائمًا من عيون مغتصبة وصارخة بالإعجاب.

لم تأخذ أي انطباع عنه سوى أن هناك شيئًا غامضًا بداخله، قد يكون تعاليًا أو غرورًا وربما كان حزنًا .... لم تستطع تحديد أي الرجلين قد يكون.

أشارت إليه بالجلوس فجلس على الكرسي في ثقة وشموخ، وقد يكون في غرور، ثم أخذ يعرفها بنفسه فهو طبيب يدعى حازم أبو عوف، يمتلك مستشفى خاصا، تبدو سنه صغيرة عن أن يمتلك مستشفى، ربما ورثها عن والده؛ فمصر وحدها هي من تورث الوظائف كما تورث العقارات .... تكلم معها بجدية شديدة وطلب منها تصميم

بعض البرامج التي يحتاجها في المستشفى وأخذ يشرح لها طبيعة العمل وما يريده وهي تصغي إليه جيدًا في ثقة وثبات، فهي دائمًا واثقة من نفسها ومن عقليتها إلى درجة كبيرة وأخذت تناقشه في بعض النقاط وهو يشرح لها ما يريد تحديدًا وعيناه لا تزال على جمودهما. ثم اتفقا على كل شيء وحددت له موعدًا لرؤية ما تم من البرامج ثم انصرف في هدوء لدرجة أنها لم تشعر بذلك ولم تعبأ بخروجه فقد كانت منكبة على الكمبيوتر لتسجل بعض المعلومات سريعًا .... فنسرين مهندسة ماهرة ومنظمة.

أتمت يومها في العمل وقامت عن مكتبها وامتطت درجات السلم هبوطًا متبادلة الكلام مع زملائها وزميلاتها وما بين الحين والآخر تلمح نظرات محمود الولهان التي تعرف كيف تصدها دائمًا.

تشفق عليه نسرين أحيانًا وأحيانًا أخرى تتهمه بعدم الكرامة لإصراره عليها بالرغم من صدها له، ولكنها الآن ربما شعرت ولأول مرة إلى احتياجها إلى تلك النظرات لتعيد إليها ثقتها في نفسها التي هبط بها الدكتور حازم إلى درجه الصفر.

طمأنتها عيناه بذلك ولكنها لم تسعدها كما لم تفعل يومًا.

تقابلت مع إيناس وسارة وإيمان على باب الشركة وتبادلن النكات كما هو معتاد بينهن، ثم انصرفن كل إلى منزله.

لم يكن يومًا مميزًا في أي شيء أو مختلفًا عما سبقه من أيام إلا بهذا الزائر الأخير المتجهم الدكتور حازم الذي شعرت مع عينيه بشيء من الإهانة لأنهما لم يفصحا لها عن الإعجاب الذي اعتادت أن تراه في عيون الآخرين وكيف لا تشعر بالإهانة وهي من الشخصيات الحساسة التي ترى الأمور بمنظار مكبر يكبر أي موقف آلاف المرات.

ركبت سيارتها وسارت بها لتحتضن الكورنيش عن يسارها وترى النيل الساحر كعادتها فهو صديقها الحميم الذي تلقي إليه بكل أسرارها وآلامها وأحزانها.

جميلة هي الإسكندرية دائمًا ليلها ونهارها صيفها وشتاؤها.

كثيرًا ما سرحت بخيالها كيف لو لم تكن تحيا في هذه البلدة، كيف كان لها أن تحيا .. إنها تعد مولدها في الإسكندرية وحياتها بها إحدى النعم التي مَنَّ الله بها عليها ولمَ لا...؟

ألسنا أكثر حظًا بنشأتنا في بلادنا العربية ممن هم في الدول الأوربية والأمريكية بما تحمله من إلحاد ومجون وانحلال خلقي؟! أليست هذه نعمة في حد ذاتها تستحق الحمد؟! ألسنا محجوبين عن كثير من الأفكار الإلحادية بلا أي فضل لنا إلا وجودنا في بلاد لا تدعم مثل هذه الأفكار؟! أليس هذا في حد ذاته منحة ونعمة من الله سبحانه وتعالى؟!

تذكرت قول الله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[1].

لعل هذه إحدى النعم التي لم نحصها ولم نتخذها في حسباننا .... ألا وهي أوطاننا.

نسرين علاقتها بالله علاقة وطيدة فهو حبيبها وسندها وملاذها الأول والأخير الذي تهرع إليه لتلقي بنفسها في رحابه فيقويها ويعينها.

نظرت إلى النيل مرة أخرى وسرحت بخيالها الخصب الذي لا ينضب أبدًا، وتعجبت بل تألمت للناس الذين لم يحظوا بأن يكونوا من سكان المدن الساحلية فكيف لهم أن يغسلوا همومهم وأحزانهم في غياب النيل. إن الله ثم النيل هم أصدقاء نسرين في السراء والضراء.

تأملته مليًّا وارتسمت في عينيها الأحزان ..... ولأول مرة تشعر بأن النيل يبدو هو الآخر حزينًا يبدو أنه غسل من هموم البشر ما يكفيه فأصيب منهم وأصبحت مياهه تفيض بالأحزان.

تبسمت في تهكم وأسرت إلى نفسها قائلة: ومن يدري لعل ذلك السبب في أن مياهه أصبحت تأتينا بالأمراض.

---

[1] إبراهيم: ٣٤

ابتسمت لهذه الخاطرة ثم مضت في طريقها. أكان النيل حزينًا بما يكفي أمامها أم أنه انعكاس لما يجول بداخلها؟

في الواقع إن رؤيتنا للأشياء من حولنا ما هي إلا انعكاس لما بداخلنا فإن كان ما بداخلنا جميلًا رأينا الجمال في كل شيء، وإن كان ما بداخلنا يتألم ويئنّ فلا نرى إلا الألم في كل شيء فالنار التي تحرق هي نفسها التي تبعث فينا الدفء؛ فكل شيء في الحياة لا يخضع إلا لرؤيتنا لأنفسنا.

رجعت إلى منزلها وملاذها الأخير الذي يحتضنها وتحتضنه ... فهو دائمًا في انتظارها وقد يكون الوحيد الذي ينتظرها في هذا العالم .... إنه بالنسبة لها رحم الأم الذي لا يشعر الطفل بالأمان إلا بداخله ولذلك عندما ينتزع منه فإنه يخرج إلى الحياة صارخًا رافضًا. دائمًا تغلب عليها مشاعر القلق بل الخوف وهي خارج المنزل لماذا؟ لا تعلم. تشعر بالراحة النفسية بمجرد وصولها إلى البيت.

يبدو أن كلًّا منا يصنع له حضنًا يحتويه ويشعر بالراحة عند الارتماء بداخله فالبعض قد يكون له البيت حضنًا وآخرون قد يكون الأب أو الأم أو الزوج أو الأبناء هم أحضانهم الدافئة بل إن البعض يجعل من الطعام حضنًا حتى النساء للأسف من ذوات العلاقات المتعددة أو الرجل ذو العلاقات النسائية المتعددة فإنهم في الواقع مع سوء ما يفعلونه إلا أنهم يبحثون عن حضن هم في أمسّ الحاجة لأن

يحتويهم .. وفي الحقيقة لن يجد أي منا ملجأ أو حضنًا يحتمي به سوى من جعل الله هو حضنه.

فتحت باب شقتها الهادئة وألقت بالمفاتيح على الكنبة وألقت بنفسها إلى جوارها منهكة .. يبدو أننا لا نشعر بالتعب إلا عندما يحين لنا أن نرتاح. إن دخول البيت بعد يوم طويل من العمل والتعب هو بمنزلة جائزة ننتظرها.

قامت نسرين بتغيير ملابسها وهي تشاهد التلفاز فبمجرد دخولها من باب الشقة تقوم بتشغيله وهكذا يفعل غالبية المصريين فالتلفاز هو الصديق الحميم للأسرة المصرية.

سمعت صوت الهاتف يرن وتوقعت أن يكون أحمدَ أخاها الصغير يكلمها مطمئنًا عليها وموصيًا لها كعادته بأن تأخذ بالها من نفسها. تكلمت معه قليلًا ومع بودي أو عبد الرحمن ابنه حبيب قلبها فهي تحبه جدًّا وتضحك على كل كلماته فهو القادر على إضحاكها بشدة في هذا العالم كله وكذلك أخته مايا .. ثم أنهت المكالمة وحمدت الله أنه لم يخبرها بقدومهم اليوم فهي متعبة جدًّا وتريد أن تجلس وحيدة هادئة فلا طاقة لها اليوم بالجلوس مع أحد ففي آخر الأسبوع تكون قد استنفدت طاقتها بالكامل ولا تريد شيئًا سوى أن تخلو بنفسها.

جلست تنتظر البيتزا وجبتها المفضلة بعد أن طلبتها من محلها المعتاد الذي لم يعد يسألها عن العنوان منذ زمن وندمت كثيرًا أنها لم تطلبها وهي في الطريق إلى منزلها اختصارًا للوقت فهي جائعة جدًّا.

جلست على كرسي السفرة المواجه للتلفاز وهي على أحر من الجمر هائمة في الاستافت كرست وجبتها السائحة وهي تجذبها فتترنح يمنة ويسرة كالمرأة الجميلة في دلالها .. وهل المرأة الجميلة فقط هي التي تتدلل ؟؟ بالطبع لا .. ولكن كلما ازدادت المرأة جمالًا ازدادت دلالًا فهي أجدر بذلك.

أرجعت رأسها إلى الخلف على الكرسي فأخذتها الغفوة وربما كانت سكرة إلى هنااااااك .. ها هي على أحر من الجمر جالسة منتظرة مع أخيها عودة أمها لتحضير الغداء فهي جائعة جدًّا في هذا اليوم ... الذي هو أول يوم لها في الصف الأول الثانوي. فلقد سافر أمها وأبوها في الصباح بعد أن قامت أمها بإيقاظها في الصباح ولومها وعتابها كعادتها المفضلة وتحميلها كما من الانتقادات السلبية التي لا حصر لها.

ذهبت أمها لزيارة خالتها لأن زوجها قد ألمت به وعكة صحية.

جلست نسرين وأخوها يترقبان وصولهما فقد تأخرا كثيرًا ..... وما بين الحين والآخر تقوم بالاتصال على الهاتف الخاص بكل منهما إلا أنهما لا يجيبان .... وبقدر التلهف قد تكون الصدمة.

رن جرس الهاتف جرت إليه نسرين لعله يحمل لها صوت أمها لعلها تخبرها عن قرب وصولهما ولكن للأسف وجدته صوت عمتها فأحست بالخيبة.

أخبرتها عمتها أنها تطمئن عليها هي وأخيها ولم تسأل عن أبيها كعادتها حتى إن نسرين قامت بإخبارها أن والدها مسافر مع أمها إلى ... ولم تسمع العمة أكثر من ذلك وأغلقت الهاتف ولكن شيئًا ما في صوتها أثار خوف نسرين وقلقها .. واستوقفها عدم سؤال عمتها عن أبيها أو أمها ... فأخبرت أحمد بالمكالمة وإحساسها بالخوف والقلق.

فأخذها أحمد بسخرية كعادته ... ثم أردف قائلًا لها: أنا نازل الدرس وعندما يصلان لا تأكلوا بدوني.

أخذ القلق يزداد عند نسرين بعد مكالمة عمتها فالشخصية الحساسة هي أيضًا شخصية من سماتها الذكاء أضف إلى ذلك طبيعتها الشخصية القلقة.

قامت بالاتصال مرة أخرى بوالدتها ثم والدها ولم يجب أي منهما ولم تكن تعلم نسرين أنهما لن يجيبا عليها إلى الأبد ولم تدرك أنها المرة الأخيرة التي ستطلبهما فيها أيضًا.

ولم يلبث الأمر أكثر من ساعة حتى رن جرس الباب فقامت مسرعة لتفتح الباب ولم يكن والداها أحدًا من الواقفين ولن يكونا بعد ذلك أبدًا ارتمت عمتها عليها وهي صارخة تبللها بالدموع ونسرين صارخة فزعة وهي تقول لها: في إيه يا عمتو؟!! وباقي أعمامها وخالاتها يقومون بتهدئتها .... إلى أن تكلم زوج عمتها وليته ظل صامتا وقال: إن السيارة التي كانت يستقلها والداك قد انقلبت بهما والبقاء لله.

لم تسمع نسرين بعد البقاء لله أي شيء. أخذت تنظر حولها في كل الوجوه التي ملأت البيت ولم تجد الوجوه المألوفة والمحببة لها وجه أبيها وأمها وأخيها.

حتى أخوها لم يكن من الموجودين يبدو أنها يجب أن تواجه المواقف العصيبة دائمًا وحدها ثم لم تلبث أن أُغشي عليها تاركة هذا العالم بمن فيه.

رن جرس الباب بقوة وبشدة جعلاها تنتفض من مكانها وتتجه مسرعة إلى الباب. فتحت الباب وهي تلهث وتتنفس بشدة فوجدت شابا صغيرًا يحمل البيتزا ويحمل معها نظرات الغضب. نظر إليها متجهمًا معاتبًا بعينيه يبدو أنه وقف كثيرًا إلى أن تنبهت نسرين وفتحت الباب.

أخذت منه البيتزا التي كانت تنتظرها على أحر من الجمر ثم أعطته النقود وأغلقت الباب.

جرت إلى المطبخ لترتشف بعض الماء لعلها تهدأ بعد إيقاظها مفزوعة إلى هذه الدرجة .. وألقت بنفسها مرة أخرى إلى الكرسي التي كانت تجلس عليه من قبل. جلست أمام البيتزا ناظرة إليها بلا شغف فلم تعد تشتهيها كما كانت نظرت إليها ثم قامت عنها، يبدو أن تأخر الأشياء عنا يفقدنا شغفنا بها.

ذهبت إلى الوضوء وألقت بالماء على وجهها بعنف كأنما أرادت أن تعاقب نفسها على غفوتها ومن ثم ذهبت إلى الصلاة وسجدت طويلًا فأحست بالهدوء والسكينة يتسربان إلى عروقها مرة أخرى .... فالصلاة وحدها هي القادرة على جمع شتاتها من جديد فهي الحصن الذي تلجأ إليه دائمًا حتى في غير أوقات الصلاة لتعيد توازنها من جديد.

أكملت باقي يومها الذي تقضي معظمه في العمل ما بين ترتيب بعض أجزاء المنزل وإعداد ملابسها لليوم التالي ... ثم ألقت بنفسها أخيرًا بعد عناء اليوم في حضن سريرها وحضن صديقها .. نعم صديقها .. لا لا نسرين لا تؤمن بالصداقة بين الرجل والمرأة ... نسرين فتاة محترمة فصديقها هو كتابها.

ثم قامت بضبط المنبه كعادتها كل يوم على الخامسة فجرًا لصلاة الفجر على الرغم من استيقاظها كل يوم قبل هذا الموعد ... وأكملت القراءة مرة أخرى فالقراءة هي هوايتها المفضلة في الحياة ... وأخذت تقرأ وتقرأ إلى أن خلدت إلى النوم.

استيقظت في الصباح نشيطة كعادتها ثم لم تلبث أن انتهت من ملابسها والنظر إلى المرآة آلاف المرات.

أخذت إحدى قطع البيتزا المتبقية ونزلت مسرعة واستقلت سيارتها إلى العمل مستأنسة بصوت البحر إلى أن وصلت إلى الشركة وهي سعيدة ومشرقة فلقد استيقظت اليوم في غاية السعادة لماذا ...؟؟؟؟ لا تعلم ولا يخفى على أحد منا أننا نستيقظ في بعض الأيام مقبلين على الحياة ومفعمين بالسعادة والحيوية بلا أي مبرر .. وفي البعض الآخر أو الأغلب نستيقظ في حالة لا يرثى لها .. فالإجهاد المزمن أصبح سمة من سمات عصرنا بما يحمله من خمول وفتور. يحظى المصريون بنصيب الأسد منه ... ربما يكون لتلوث الهواء أو الماء ناهيك عما نأكله من خضروات وفاكهة تعاني هي أيضًا من الإجهاد المزمن.

نعم لسنا وحدنا من نعاني من الإجهاد المزمن فالحيوانات والنباتات وكل شيء في زماننا أصبح يعاني من الإجهاد المزمن.

ولكن وبحق يقف المصري صامدًا مقاتلًا أمام كل ما يلاقيه معلنًا أنه لن يستسلم أبدًا وسيحيا بكل جلد وصلابة رغم أنف الجميع ورغم كل شيء حتى وإن وضع بين البرك والمستنقعات سيقاتل حتى آخر نفس يتنفسه وسيستيقظ كل يوم في نفس الموعد ليفعل نفس الأشياء بمنتهى الرتابة والسماجة ويقابل نفس الأشخاص

الذين يتمتعون بنفس السماجة والضغوط النفسية أليست هذه حربًا ...؟؟؟ فإن لم تكن فماذا تكون؟!

إن عقلها لا يهدأ أبدًا .. لماذا؟؟ هي نفسها لا تعلم لماذا.

أخيرًا وصلت إلى الشركة محيية جميع من قابلها وقبل أن تصل إلى مكتبها وقفت قليلًا مع رانسي ولم تفعل رانسي شيئًا كعادتها إلا الكلام عن الشباب والعرسان ورغبتها في أن ترى نسرين عروسًا قبلها لأنها تكبرها بشهرين ومرت إيناس بجوارهما واشتركت رغم أنفهما في الحوار، وكيف لا تفعل؟ .... وأخذت تنظر بعيون يملؤها الغل والحقد إلى وجه وملابس نسرين فتيقنت نسرين من أنها فعلًا جميلة ومشرقة اليوم وإلا لما كانت عيناها لتفضحها.

ولطالما استمتعت نسرين بنظرات الحقد والغيرة في عيون النساء أكثر من نظرات الإعجاب في وجوه الرجال؛ فنسرين ليست ملاكًا بل إنسان قد تكون على درجة عالية من النقاء إلا أنها في النهاية ليست ملاكًا.

ذهبت نسرين إلى مكتبها وقامت بفتح الراديو وانخرطت وسط تصميماتها التي تمتص معظم وقتها ولم تلبث إلا القليل لتمر بمعظم الأحداث التي تحدث لها يوميًّا مع الاختلاف البسيط في بعض الأيام .. فيوم يضاف إليه سؤال من خال أو خالة أو عم أو عمة من بعيد لبعيد ودعوة لتناول الغداء ... أو مشاجرة مع زميل أو زميلة

وهكذا تمضي أيامها ... يوم يأتيها أخوها وزوجته أو تخرج في المساء مع صديقتها رانسي لشراء بعض الملابس أو احتياجاتها وتمر الأيام وتدور الحياة ... وهكذا تمضي حياة نسرين كل يوم.

إلا أنه بعد أسبوعين أي اليوم العاشر من الشهر كان يومًا مختلفًا؛ فلقد استيقظت نسرين مجهدة متعبة ... ثم وهي في الطريق إلى عملها قام أحدهم بالاصطدام بسيارتها من الخلف لدرجة أحست معها بأن قلبها كاد أن يمزق ضلوعها ويخترق صدرها فنزل إليها الرجل معتذرًا فقبلت اعتذاره وأكملت طريقها وسواء اعتذر أو لم يعتذر فإن نسرين كانت ستمضي في طريقها فهي لا تعرف كيف تتصرف في مثل هذه المواقف.

وما أن دخلت مكتبها حتى انقطع النور تمامًا عن الشركة فجلست تثرثر هي ورانسي و لم يلبث انقطاع النور إلا ساعة وعاد فأخذت نسرين ترتب أوراقها سريعًا فاليوم مزدحم لديها بالعمل وهي متعبة وتريد أن تهرع إلى منزلها بأسرع وقت.

فجأة وهي منهمكة في ترتيب الملفات وجدت أمامها من يلقي السلام بدون حتى أن يطرق الباب نعم إنه الدكتور حازم وأحست بالطامة الكبرى.

لفت نظرها عدم طرقه للباب فهي إنسانة رقيقة بطبيعتها يؤثر فيها الأسلوب المهذب ويأسرها سواء كان من رجلٍ أو امرأة. كان وجوده كالطامة الكبرى لأنها نسيت عمل البرامج الخاصة به ... ولأول مرة تنسى شيئًا متعلقًا بشغلها فقد نسيت الموضوع برمته على غير عادتها تمامًا.

قامت بالترحيب به ودعوته إلى الجلوس مبتسمة كعادتها إلا أنه ظل صامتًا يبدو أنه يترك الكرة في ملعب من أمامه فيزيد من صعوبة الموقف ... أصابها بعض الارتباك ... كل انطباعاتها عنه لم تكن في صالحه على الإطلاق وأسرت لنفسها قائلة: .... إنسان بارد وسمج.

بدأت هي الحوار وقالت له: دكتور حازم. فمن عادتها أن تذكر اسم من تحدثه ربما نوع من الذكاء أو رقيٌّ بداخلها وقد يكون نوعًا من التودد والاحترام للآخر. على كلٍّ لا يختلف شخصان على ذكاء نسرين.

قالت له: أعتذر لحضرتك عن عدم إتمام البرامج فلقد انشغلت الفترة السابقة فلدينا في الشركة جرد سنوي ولم أستطع أن أنتهى منها وأعدك أن .... إلا إنها لم تكمل ..... قاطعها بعصبية وحدّةٍ معًا ونظر إليها متأففًا وقال:

- لقد اتفقنا على موعد محدد ....

قالت له:

-نعم أعلم ولكن بكرر اعتذاري مرة أخرى ... فلقد كانت الفترة السابقة مزدحمة بالعمل جدًّا في الشركة ولم أستطع ...

قاطعها مرة أخرى وهو مقطبٌ وجهه قائلًا:

- كان من الممكن أن تعتذري؛ فرقم التليفون أمامك في الملف. أنا ليس لدي وقت لأي موعد مرتين. وأكمل قائلًا:

- واضح أن عدم الالتزام وعدم تقدير الموقف متوافر عندكم.

أحست بنوع من الإهانة فهي لم تقابل عميلًا من قبل كهذا ولم تعامل من قِبل أي رجل بهذه المعاملة. لو يعلم ما بداخلها من أحزان لما قسا عليها إلى هذه الدرجة ولما عاملها بهذا الشكل الجارح. ولكن ما يدرينا؟ لعل ما به هو من أحزان أكبر فنحن نقسو عندما يكون ما بداخلنا أقسى فلا يعلم ما في القلوب وأوجاعها إلا الذي خلقها.

كبرياؤها منعها من التلطف معه فقالت وهي عابسة وحادة وصوتها مختنق تمامًا: لا بأس يا دكتور إذا أردت أن تسحب البرامج من الشركة فلا يوجد أي مانع.

نظر إليها مقتربًا ولأول مرة تبدو في عينيه ضحكة أو ابتسامة صغيرة مع استمرار وجهه في التجهم .. ما سر هذه الابتسامة؟ لا تدري، ربما أعجبه كبرياؤها، ربما أحس بقسوته معها ربما جاءت مصادفة وربما لا شيء على الإطلاق فقال:

- على كل حال ممكن أن نتفق على ميعاد ثاني على أن يكون تم الانتهاء في هذه المرة من كل البرامج.

هدأت قليلًا لماذا لا تعلم ربما كانت ابتسامته تحمل اعتذارًا.

ردت عليه عابسة وحددت له موعدًا على غير رغبة منها واتفقا على يوم الخميس القادم.

قام وألقى عليها السلام مومئًا برأسه متوجهًا إلى الباب ولكنها لم تستطع أن ترد إيماءته أو تبادله التحية فنسرين ذات طبيعة حساسة من الممكن جرحها بسهولة ثم أدار وجهه مرة أخرى تلقاءها ونظر إليها في عينيها تحديدًا نظرة لم تستطع تفسيرها ثم انصرف.

تنفست الصعداء وأرجعت رأسها إلى الخلف فهي لم تعتدْ أن تعامل من قبل أي رجل هكذا و في محاولة لتهدئة نفسها وإرضائها في الوقت نفسه أخذت تحدث نفسها قائلة ومواسية: إنه فلاح لا يفهم في الذوق العام أو التعامل مع النساء بوجه عام حتى هذا التجهم الذي على وجهه يبدو أنه كثير التشاجر مع زوجته وأردفت:

قد لا يكون متزوجًا أو مطلقًا فمن هي هذه المرأة التي من الممكن أن تحتمل رجلًا فظًا كهذا؟!

أنهت الحوار مع نفسها قائلة: على كل حال يجب أن أنتهي من هذه البرامج بأي شكل لأتخلص من رؤيته مرة أخرى ولكن ماذا سأفعل في المتابعات الدورية التي لا بد أن نقوم بها بين الحين والآخر لمتابعة البرامج؟!

قالت: لا لا .. - وهي محركة كلتا يديها - سأنتهي من تنفيذ البرامج وسأعتذر عن المتابعة وسأرشح إيناس لهذه المهمة فهي فظة مثله وستجيد التعامل معه فهي تمتلك من قلة الذوق في الأسلوب والكلام ما يضاهيه.

تعجبت هي الأخرى من نفسها كيف نسيت هذه البرامج؟! بل نسيت الموضوع برمته وقد مر أسبوعان دون أن تدري، يبدو أن النفس البشرية مليئة بالأسرار التي لم ندركها نحن حتى عن أنفسنا فهي دؤوبة في عملها متفانية فيه ومنظمة أيضًا فكيف نسيت؟!

يبدو أن معاملته الجافة لها في المرة الأولى أجبرتها أن تنسى الموضوع برمته ربما لامست هذه المعاملة شيئًا ما بداخلها أشعرها بالإهانة. ليتنا نعلم ما تخبئه لنا الأقدار... ولكن ما يدرينا لعلنا لو علمنا أقدارنا لأبينا أن نستمر في هذه الحياة.

فتحت الملف الخاص به باهتمام وقرأت اسمه بالكامل حازم محمد أبو عوف .... تاريخ الميلاد 1\5\1980 عمره ثمانية وثلاثون عامًا .... مستشفى السلام شارع النبي دانيال. لم تسمع عنها من قبل يبدو أنها مستشفى صغيرة ورثها عن والده ولم تجد ما يدل على حالته الاجتماعية أيكون غير متزوج ليس صغيرًا على ألا يتزوج وليست حالته الاقتصادية تدل على أنه يمكن أن يتأخر في الزواج سرحت بخيالها وقالت متمتمة: ومن هذه التي من الممكن أن تطيقه ....؟!

حادة نسرين في انفعالاتها عندما تكره وعندما تحب أيضًا.

فتحت الكمبيوتر الذي قابلها بترحاب لم يقابلها به حازم وبدأت العمل في البرنامج الخاص به إلا أنها سرعان ما رجعت إلى الخلف متمتمة: برنامج معقد كصاحبه وبنفس السماجة.

تنهدت وهى متعبة محبطة. يبدو أننا عندما يكون مزاجنا سيئًا فإننا نجذب إلينا كل ما هو سيئ ... فاليوم لم يكن سارًا منذ أن استيقظت.

لم تستطع مع ما أفضت به لنفسها أن تحتمل مثل هذا التعامل من رجل ... إن الجميلات لا يعاملن إلا كما تعامل الأميرات. طوت الملف الذي أمامها بعنف هو الآخر وأخذت تروح وتأتي في الطرقة لكي تهدأ فقابلها محمود الذي تفضحه عيناه دائمًا ولأول مرة تشعر برغبة في الوقوف معه.

مهما كانت المرأة جميلة وواثقة من نفسها فإنها تشعر بالإهانة عندما يعاملها رجل بلا اكتراث.

ناداها محمود كعادته ولم تنتظر أن يأتي إليها فذهبت إليه متلهفة وكأنها تريد أن تلقي بنفسها في أحضانه وتبكي كالطفل عندما يذهب إلى أمه باكيًا شاكيًا من أحد ولا يحتاج منها سوى أن تحتضنه وتهدهده.

ولم لا؟ مهما نكبر فإننا بحاجة إلى الاحتواء والحنان بل على العكس كلما نكبر نكون في أمس الحاجة إلى الحنان والاحتواء.

كما أن نسرين تفتقد أصلًا إلى أي نوع من الحنان في حياتها فحياتها بلا أم أو أب أو أخت ..... والأخ لن تجد عنده ما تريد من الحنان.

ولكن أين الله؟! أليس الله بكاف عبده ..؟! بلي ولكننا بشر نضعف بين الحين والآخر ولقد جعلنا الله في احتياج كل منا للآخر لتستمر الحياة.

فرح محمود كثيرًا بإقبالها عليه ولكنه لم يدرك أنه في هذه اللحظة كقرص الأسبرين الذي نهرع إليه لتسكين آلامنا. تبادل معها الحديث بود وحب ورقة كعادته معها .. نعم عندما نحزن أو نتألم أو يؤرقنا شيء فإننا لا نذهب إلى من نحبهم بقدر ما نذهب إلى من نعلم بحبهم لنا ومعزتنا عندهم وصدق نواياهم لنا .. ولم لا؟ .. فهي

تعلم قدرها عنده وكيف لا تعلم وهو الذي ساق لها القريب والبعيد بل ذهب إليها أيضًا عارضًا حبه وقلبه ورغبته في الزواج منها؟!

وعلى كل حال لا تنكر نسرين أنها تعتز به لكنها لم تحبه يومًا كحبيب ولم يكن أبدًا فارس الأحلام الذي تنتظره.

تساوره نفسه بأن تكون نسرين متعلقة بأحد أو أنها جرحت من قبل فأعرضت عن الزواج كليًّا وإلا فلماذا ترفضه فهو وسيم وطويل ألا يكفي أنه يحبها؟!

لم يكن يعلم أن نسرين لم تحب أحدًا من قبل أو حتى أعجبت بأي شخص .... ليتها أحبت من قبل.

تحدث معها محمود طويلًا .. لا يكف الرجل المحب عن الكلام مع من يحبها أو النظر إلى عينيها .. تكلم معها في موضوعات عامة وموضوعات خاصة بالشركة، وما بين الحين والآخر يختلس إليها النظرات إلا أنه شعر بأن هناك شيئًا في عينيها يخبره أنها متألمة وكيف لا يشعر بها وهو يحبها إلى حد العشق .... فأخذ يلقي عليها بعض النكات ليضحكها فأخذت تبتسم رويدًا رويدًا إلى أن نجح في إضحاكها وما لبثت إلا أن هدأت تمامًا ليست من نكاته بل من نظرات الحب في عينيه.

نسرين لم تحب بل لم تعجب بمحمود يومًا من الأيام ولكنها كانت في لحظة عدم ثقة وعدم توازن أفقدهما إياها حازم.

في الواقع إن نسرين لم تكن بحاجة إلى نظرات الحب بل كانت في حاجة إلى نظرات التقدير، ولماذا نسرين في احتياج لهذا التقدير؟؟ ألا يكفيها جمالها وتميزها ونجاحها في عملها؟!! من الواضح أنه لا يكفيها .. لماذا؟؟ لا أعلم، الله وحده هو الذي يعلم ما بداخلها ... فلا يعلم أغوار النفوس إلا الذي خلقها.

عادت إلى مكتبها مرة أخرى وأمسكت بالملف فشعرت بالعصبية تباغتها من جديد ولكن هذه المرة أخف وطأة من سابقتها.

قررت العمل في برامج عميل آخر ... فتحت ملفًا آخر وثانيًا وثالثًا ولكنها لم تستطع العمل فقررت الانصراف من العمل على أن تكمل العمل كله في الغد القريب، فالوقت والزمن هما وحدهما القادران على أن يعيدا الهدوء والأمان مرة أخرى إلينا، فما لا نستطيع أن نفعله اليوم فلنفعله في الغد.

خرجت من الشركة وركبت سيارتها إلا أنها لم تتوجه إلى منزلها بل ذهبت إلى كافيه لاتينيو المطل على النيل. لا تدري ما هو سر النيل في التخفيف عنها ... وعلى الرغم من صمته إلا أن له قدرة مذهلة على تسكين جراحها وآلامها.

ربما حبا الله المصريين بنهر النيل لأنه يعلم جيدًا ما يلم بهم سواء من ضغط عصبي أو نفسي أو إجهاد، ولعل لونه المائل إلى السواد الآن يعكس هموم المصريين وآلامهم.

جلست نسرين على الكرسي في مواجهة النيل وأمامها المنضدة ولاحظت استراق بعض الناس النظر إليها بين الحين والآخر إلا أنها شردت بخيالها بعيدًا.

منظر مألوف جدًّا أن ترى منضدة تحمل شخصًا واحدًا منفردًا ولكن لا يخلو الأمر من تتبع الآخرين له على أنه شيء غير مألوف. ربما جلسته منفردًا يعكس أن هذا الشخص يمر بأزمة معينة على الرغم من أن هناك العديد من المناضد الأخرى تحمل اثنين أو أكثر وجميعهم لا يتكلمون سويًّا ومع ذلك لا ينظر إليهم أحد.

كان بوسعها أن تأخذ إحدى صديقاتها فهن يتمنين دائمًا أي فرصة للخروج معها ولكنها لا تفضل سوى رانسي وفي الكثير من الأحيان لا ترتاح إلا في الخروج بمفردها. طبع غريب قد يستهجنه البعض ولكن ربما ألم نفسي بداخلها من صغرها جعل صوت الوحدة أهدأ كثيرًا من صوت الآخرين وما قد يحملونه من اللوم والعتاب.

جاء الجرسون محييًا إياها ثم نظر إليها في عينيها وهي تطلب فنجانا من القهوة وخرجت ابتسامة من عينيه رغمًا عنه .... وكذلك فعل حازم.

نحن نبتسم وتُنزع منا ابتسامة رغمًا عنا عندما نرى شيئًا جميلًا .... عندما ننظر في عيون طفل صغير جميل يتكلم بطريقة عفوية. الجمال هو الآخر ينتزع من الآخرين الابتسامة رغمًا عنهم.

وقديمًا قيل إنما الجمال في العيون التي إذا نظرت إليها وأنت غاضب لم تعد غاضبًا.

جذابة نسرين بكل ما فيها ليست الأجمل على الإطلاق ولكنها تعلم وتعرف جيدًا ما هو مقدار جاذبيتها وتأثيرها على الرجال حقيقة أدركتها منذ كانت في الثانوي .... إلا أن بداخلها بركانًا من الأحزان لا تعرف هي نفسها ما سببه.

لا تخلو أي مدرسة بنات ثانوية من إعجاب مدرس بتلميذته مهما يكن الفارق العمري أو العقلي ... تذكرت الآن الأستاذ مجدي إلا أنها انتبهت لصوت يقول لها: اتفضلي ... إنه النادل يضع قهوته ناظرًا إليها بنفس الابتسامة ثم وضعها وانصرف.

أرجعت رأسها إلى الخلف بعض الشيء ناظرة إلى النيل فسمعت صوتًا عاليًا وقاسيًا إنه صوت الوكيلة الشرسة التي تكيل وتسب الفتيات على لا شيء. كانت نسرين خارج الفصل تحت حجة قوية جدًّا ألا وهي الحمام. قابلت الوكيلة التي تشبه إنسان الغاب في وجهها فسألتها مزمجرة:

- رايحه فين يا بنت؟

فقالت نسرين في هدوء:

- إلى الحمام يا ميس.

فقالت لها:

- وهل يوجد حمام هنا ...؟!

تعلم نسرين أنه ليس هنا ولكنها خرجت من الفصل لتضييع بعض الوقت، والوكيلة تعلم أن معظم البنات يخرجن من الفصل تضييعًا للوقت أو هروبًا ولكن نسرين لم تفعل ذلك إلا مرات قليلة. فنسرين تأتيها أحيانًا رغبة ملحة في المشي تفعلها رغمًا عنها فتمشي ذهابًا وعودة بشكل متكرر ولا تعرف لماذا ..... ولقد كانت خارج الفصل لعدم قدرتها على الجلوس في الفصل فهي عادة شبه إلحاحية. ربما يكون نوعًا من إخراج ما بها من توتر لكنها لم تكن تعي ذلك ولم يكن يستوقفه هذا الأمر.

يخطئ الوالدان ويقسوان كثيرًا عندما يتسببان في أرق نفسي لأبنائهم وعدم إحساسهم بالأمان وبخاصة الفتاة ..... فقد يجعلان من ابنتهما إحدى اثنتين لا ثالث لهما إما أميرة مدللة وإما أسيرة معذبة.

تعالى صوت الوكيلة عليها وقامت بنهرها وتوبيخها بمنتهى القسوة وكأنها قد هدمت أحد أسوار المدرسة.

وحينها خرج العرين من القفص فكالت لها نسرين السباب وهي في قمة عصبيتها والشرر يتطاير من أعينها .... وكادت أن تتطاول عليها الوكيلة إلا أن بعض المدرسين تدخلوا وقاموا بمنعها. ولكن لا يخفى على أحد من الواقفين أن الوكيلة فوجئت بأسلوب نسرين واهتزت من عصبيتها وأسلوبها وتلعثمت في الكلام أكثر من مرة.

ذهبت نسرين إلى أستاذ مجدي وهي في قمة عصبيتها ولكنها أبدًا لم تكن لتبكي وما زالت حتى الآن لا تبكي ..... ويا ليتها تبكي ... فلربما خمد البركان.

إن البكاء رحمة من الله سبحانه وتعالى نغسل به آلامنا .. إن عدم البكاء ليس مظهرا من مظاهر القوة بقدر ما هو مظهر من مظاهر الكبت والسجن النفسي.

ليس اليتيم من مات والداه ولكن اليتيم من له أب يقسو وأم تعاقب على الكبيرة والصغيرة.

يجرم الوالدان في قسوتهما على أبنائهما إلى حد الرهاب الاجتماعي نتيجة جهلهما بالتربية وتربية أبنائهما على نهج (هذا ما وجدنا عليه آباءنا).

يجرم أي إنسان في حق نفسه عندما يتزوج وينجب أبناء ليس بقادر على تربيتهم تربية نفسية صحيحة. فتربية الإنسان ليست كتربية الحيوان من مأكل ومشرب وملبس بل هي أسمى من ذلك هي تربية روحية فكرية حسية باللفظ والنظرة بل باللمسة والاحتواء والصبر على الأخطاء ... هي الظهر الذي يتكئ عليه الإنسان في حياته فإذا لم يجده يظل هائمًا متخبطًا في الحياة مهما تعلم منها واكتسب من خبرات وتجارب ... ويصبح كالمبنى الذي يبنى بلا أساس قوي فيتصدع لأقل مؤثر بيئي يمر به.

كادت أن ترتمي في أحضان أستاذ مجدي وهي تشكو له مما حدث ولكنها أبدًا لم تفعل .... قد يكون بدافع من الحياء ... وقد يكون سجن داخلي يمنعها دائمًا من أن تظهر مشاعرها وتكون على طبيعتها.

يعشقها أستاذ مجدي ... وهي تعلم .. يظهر ذلك في عينيه بوضوح فليس هناك أجمل من نظرات الرجل العاشق وكأن العشق خلق ليكون في أعين الرجال وحدهم.

ونسرين فتاة ذكية لا تذهب إلا لمن تعلم أنه يحبها ويقدرها ... احمر وجهه ونفرت عروق جبهته غضبًا عندما رآها هكذا. نسرين تحكي له بأوتار مهزوزة باكية ولكن أبت دموعها على الانحدار، بدت عليه مشاعر الانفعال والغضب المحموم بالألم الذي كان كألف يد تطبطب عليها.

نحتاج إلى الحنان دائمًا وأبدًا مهما كبرنا ... من منا كان في استغناء يومًا عمن يحنو عليه ويرأف لحاله. ومن ذلك الإنسان الذي يخسر إنسانًا يحنو عليه ويهتم لأمره في دنيا طغى عليها قانون المصالح إلا من لم يقدر نعمة منَ الله بها عليه.

يظل المرء طفلًا طالما يعرف أن هناك من يهتم لأمره فإذا أدرك أنه في الدنيا وحده كبر وشاخ لا محالة وأضاف أعمارًا إلى عمره. وقديمًا قالوا: يظل الرجل طفلًا إلى أن يموت والداه فإن ماتا شاخ فجأة.

فمن يحنو علينا غير الأب والأم فإن لم نأخذ الحنان من والدينا سنظل نتسوله طيلة أعمارنا ولن نجده.

أخذها أستاذ مجدي وذهب بها إلى الوكيلة وتكلم معها بحدة وعنف وبدا للجميع أنها قد ارتبكت من طريقته في الكلام معها وانفعلت عليه هي الأخرى ثم تدخل بعض المدرسين وقاموا بتهدئة الموضوع الذي انتهى بالفعل لصالح نسرين ... على الأقل معنويا.

ابتسمت نسرين وهي هادئة ثم أفاقت على صوت الجرسون وهو يأخذ فنجان القهوة الذي ارتشفته دون أن تشعر.

نسترجع الماضي رغمًا عنا عندما نريد الهروب من حاضر لا يروق لنا لعلنا نجد ما يواسينا فيه ويحنو علينا ويربت على أكتافنا أو ينتزع منا ابتسامة رغمًا عنا.

أخذت تنظر إلى النيل تارة وإلى الأشخاص الجالسين على المناضد المجاورة لها وسرحت كعادتها وذهبت بروحها إلى عالم آخر.

كثيرًا ما لفت أصدقاؤها نظرها إلى أن شكلها الخارجي يوحي إلى أي شخص أنها كاتبة أو رسامة أو حالمة غارقة حتى أخمص قدميها في الحب ... الحب الذي لم تتذوقه يومًا من الأيام.

كلما كانت الفتاة متميزة وجميلة وتلفت العيون إليها في أي مكان قلَّت درجة إعجابها بأي شخص وأصبح من الصعب أن يرضيها إلا القليل. وكلما نضجت ومرت بتجارب حياتية قاسية أصبح من الصعب أن يرضيها من الرجال إلا الرجال وليس الذكور.

إن من يفقد والديه في الصغر تلقنه الحياة رغمًا عنه عبرًا ودروسًا لا يدركها إلا من مر بمثل هذه التجربة. وكلما ارتقت بفكرها وعقلها ونهلت الكثير من العلم أصبح القليل من الناس الذين تستطيع التعامل أو التأقلم معهم وليس الرجال وحدهم.

فكيف بنسرين وهي تملك كل ما سبق... كيف لها أن يثير إعجابها أي رجل بسهولة؟!

لا تتذكر نسرين يومًا أن لفت نظرها أي زميل لها في الكلية .. ربما بعض من أساتذتها الكبار هم وحدهم الذين استطاعوا أن يلفتوا نظرها .. لأنها في الواقع لم تكن تبحث عن حبيب إنما كانت تبحث عن أب.

نظرت إلى وجوه من حولها في الكافيه فوجدتها وجوها هائمة وتائهة ولا تحمل من الفرح شيئًا إلا القليل ... فإما عاشقان ينظر بعضهما إلى بعض بخجل وفرحة عارمة ويتيهان عن كل من يحيط بهما .. فما أجمل الحب في قلوب المحبين ... أو طفل صغير يلهو هنا وهناك فيملؤ الدنيا صخبًا وسعادة ... وفيما عدا ذلك وجوه يكسوها الإرهاق والملل.

لماذا أصبح عدم السعادة سمة من سمات عصرنا عكس ما كان سائدًا فيما مضى؟

ومع الأخذ في الاعتبار الآلاف من الوسائل الترفيهية التي تحيط بنا اليوم والتكنولوجيا التي تغزونا في كل شيء.

فلو أخذنا بمقاييس العقل فمن المفترض أن نصبح اليوم في غاية السعادة والراحة. فعلى الأقل أصبحنا اليوم نتفوق عمن سبقونا في الكثير من وسائل الراحة فلا نشعر بحر الصيف لا في بيوتنا ولا سيارتنا ولا أشغالنا أليست هذه نعمًا حبانا بها الله في العصر الحديث ... نذهب إلى منازلنا بالسيارات ونصعد إلى بيوتنا بالمصاعد ونقلب التلفاز بالريموت كنترول وغيرها الكثير.

إلا أن هذا العصر الحديث على الرغم من ذلك كله سلب منا راحتنا وسلامنا النفسي فلا نجد سوى وجوه يكسوها الإرهاق والملل ... وجوه لا تعبر عن أي شيء سوى عدم السعادة.

هل بعدنا عن الدين هو سبب شقائنا؟ وكيف نبتعد عن الدين وها هي الجوامع قد اكتظت عن آخرها بالمصلين ... ودور الأيتام ومعاهد الأورام تضج عن آخرها بالآلاف من المتبرعين .. وها هو رمضان عامر بالصائمين كل عام .. إذن أين توجد المشكلة؟!

أعتقد أن المشكلة الحقيقة تكمن في بعدنا عن تعاليم الإسلام أو بمعنى أصح عن الأخلاق التي حضت عليها الأديان السماوية سواء كنا مسلمين أو مسيحيين أو غير ذلك.

نعم الدين المعاملة ... لقد بعدنا عن التعامل بأخلاق الدين وليس عن إقامة شعائر الدين .... بالفعل الجوامع والكنائس مكتظة عن آخرها بروادها. ولكن ما الهدف من تلك العبادات ....؟ الهدف أن نرتقي بأخلاقنا لا أن نصوم ونفطر أو نقوم ونجلس ونفعل هكذا وهكذا من أمور الصلاة.

هي ليست غاية ولكنها وسائل للارتقاء في أخلاقنا وبالتالي تعاملاتنا معًا.

لقد لخص لنا الرسول صلى الله عليه وسلم رسالته عندما قال: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق". أي أن الهدف من الصلاة والصوم والزكاة والحج والصدقات ليست كثرة العدد ولكن أن نخلص منها إلى الارتقاء بأخلاقنا.

أين هي الآن السماحة والصدق والمحبة والإخاء والإيثار في المعاملات والإحساس بالآخر ....؟ إنها أخلاق كادت أن تكون مندثرة. فأصبحنا اليوم بلا ثقة في أي شيء لا في وعودنا ولا علاقتنا ولا أي شيء ... أصبح الحقد والحسد والغل هو الخلق السائد دائمًا بيننا.

عندما خسرنا الأخلاق خسرنا معها كل شيء خسرنا أنفسنا وسعادتنا فأصبحت الوجوه عابسة دائمًا وأبدًا.

تذكرت الآن زميلتها المهندسة إيناس يوم خطبتها عندما ذهبت إليها نسرين في حفل خطبتها في المنزل وكانت نسرين مشرقة ومتألقة كعادتها فما أن دخلت حتى التفت

العيون حولها ... ولم تجد في عيني إيناس سوى الحقد والغل من جمالها وملبسها وكادت ألا تسلم عليها بعد أن احمر وجهها.

مساكين هن أصحاب البشرة البيضاء فإن هذه البشرة مع جمالها تفضح مشاعرهن وانفعالاتهن رغمًا عنهن.

أخذت إيناس تنظر إلى نسرين وكادت الدموع أن تتراقص في عينيها من الغل والغيرة. غريبة هي عقلية الحاقد الحاسد .... إن الإنسان الحقود الحسود ما هو إلا إنسان سيئ الأدب مع الله أولًا وأخيرًا.

لو راجعت إيناس حساباتها للحظة لوجدت أن اليوم يوم سعيد لها لأنه يوم خطبتها وبجوارها من عاشت معه قصة الحب وفضّلها على من سواها بل إنها لم تعبأ بوجود أمها وأبيها حولها وأخواتها أيضًا.

لم تعبأ بكل ذلك مع أن نسرين تفقده ولكن كل ما آثار حفيظتها هو جمال ورقة نسرين وفستانها الجذاب ... أما يكون نقصان كل ذلك عند نسرين شافعًا لها، لكيلا تحقد عليها إيناس؟! لمَ استكثرت عليها جمالها ...؟! لو عقلت إيناس قليلًا وعددت نعم الله عليها لأصبحت اليوم أسعد إنسانة على وجه الأرض.

على العموم كانت نسرين سعيدة بكل نظرات الحقد والحسد من إيناس فما هي إلا اعتراف منها بأنها الأجمل دائمًا. ابتسمت نسرين ابتسامة ماكرة كادت أن تشعل بها إيناس... فنسرين ليست ملاكًا أو قديسة تمشي على الأرض هي أنثى وأنثى ذكية جدًّا. فالملائكة في السماء لم تخلق على الأرض .... فما نحن إلا نفوس بشرية و نسرين بشر.

معظم الحاضرين في الحفل ينظرون تجاه نسرين ومجلس نسرين، ونسرين هي الأخرى تتطلع بين الحين والآخر إلى عيون إيناس التي تتابعها في كل مكان تذهب إليه لتطمئن من حنقها عليها وإغاظتها.

إن نسرين لا تكره إيناس ... إن نسرين لا تستطيع إلا أن تحب ... إلا أنها تكره حقد إيناس وعدم رضاها بما قسم الله لها. مسكينة إيناس تمتلك راحتها النفسية وسعادتها في يدها إلا أنها أبدًا لا تفعل.

لو أنها ما حقدت ولا حسدت وأدركت أن الله مقسم الأرزاق بالتساوي لأنه الحكم العدل ..... لو كانت تملك التصالح النفسي لأصبحت اليوم من أسعد الناس ولأصبح اليوم هو الأجمل في حياتها كلها ولكنها أبدًا لن تفعل.

على كلٍّ كان لزامًا على إيناس أن تعزم على نسرين حضور خطبتها فهي زميلتها في العمل وكان لزامًا أيضًا على نسرين أن تحضر رغم عدم استمتاعها بمثل هذه الأجواء فأحد قوانين العمل هي المجاملات ...

تنظر إلى إيناس بين الحين والآخر فلا تجدها تتطلع إلا إليها لا إلى خطيبها ولا من حولها.

مسكينة إيناس لا يجعلها حقدها تستمتع بأي شيء ولا ترضى بأي شيء. تشعر تجاهها نسرين بالشفقة أحيانًا إلا أنها لا تظهر لها ذلك أبدًا ... بل على العكس تعاملها بتجاهل يزيد من غيظها ... فنسرين هي الأخرى ليست ملاكًا.

استيقظت نسرين من غفوتها ... التي سافرت فيها إلى أيام وذكريات لم تتذكرها يومًا منذ أن حدثت. تركت الكافيه ولكن أفكارها لم تتركها .... إنها تقودها رغمًا عنها.

ذهبت إلى منزلها وتناولت العشاء وفعلت كل شيء كالمعتاد ونامت على صوت رانسي في التليفون وهي تحادثها. كثيرًا ما تفعل ذلك هي ورانسي لأنها تعرف مكانتها عندها ... إنها أختها التي لم تلدها أمها .... فرب أخٍ لك لم تلده أمك.

ذهبت إلى العمل في اليوم التالي وقابلت أول ما قابلت إيناس التي كانت معها طوال الليل في أفكارها فابتسمت وحيتها ولم تلبث إيناس إلا أن قالت لها:

- أنتِ دائمًا مقبلة على الحياة هكذا.

قالت لها نسرين:

- لو كنتِ تمتلكين قلبًا نقيا طاهرًا لأقبلت على الحياة مثلي ...

قالتها بأسلوب يشي بالسعادة والإصرار.

قالتها وهي تجري على السلم لتغيظ إيناس أكثر وأكثر لتزيد من حنقها.

نعم هذه الأرض لم تخلق للملائكة... إننا بشر تتحكم فينا نوازعنا مهما كنا أنقياء .. حتى نسرين مع رقتها وطيبة قلبها ليست ملاكًا.

مسكينة إيناس احمر وجهها. لونها الأبيض نقمة عليها لا يكشف عن جمال بقدر ما يعكس من شراسة تغزوها عروقها النافرة دائمًا لأي موقف يؤلمها.

لو تعلم إيناس قدر الآلام التي في قلب نسرين لأشفقت عليها ولكان جمالها شفيعًا لها ولكن هيهات أن تفعل. إن بعض الناس مهما فعلت لمحاولة إرضائهم فلن يرضوا أبدًا عنك فإن قلوبهم مشتعلة تجاهك مهما فعلت لتكسب ودهم ورضاهم.

وهؤلاء من واقع خبرتي في الحياة لا يصلح التعامل معهم إلا بمزيد من التعالي والعجرفة وإلا لرأوا فيك فريسة سهلة المنال وازدادوا في حماقتهم إلى ما لا يحمد عقباه.

دخلت نسرين إلى مكتبها وأمسكت بملف الدكتور ثقيل الظل وأخذت تقلب فيه يمينًا ويسارًا بتململ ثم عكفت على الكمبيوتر. أخذها العمل وكانت متحمسة للعمل اليوم أكثر من ذي قبل.

لم تنتهِ من البرنامج الخاص بحازم إلا عندما جاءت إليها رانسي ثم تبعها محمود الذي أخذ ينظر إليها بين الحين والآخر نظرات يملؤها الحنان تارة والمغازلة تارة والضحك والتبسم على أي شيء تقوله نسرين. وجاءت إيناس هي الأخرى فقالت نسرين لإيناس:

- عندي عميل لا يتناسب إلا معك.

فنظرت إليها إيناس شزرًا فأردفت نسرين قائلة وهي تضحك:

- عايز طولة بالك افتكرتِ إيه.

إلا أن القلوب تعلم ما تكنّ. انتهت نسرين من البرامج الخاصة بدكتور حازم وغدًا ستذهب إليه بهذه البرامج. كانت قد نوت أن ترسل له إيناس إلا أنها اليوم لم تعد متضايقة منه إلى هذا الحد.

يبدو فعلًا أن كل شيء يبدأ صغيرًا ثم يكبر مع الأيام إلا الحزن أو الغضب فإنه يبدأ كبيرًا أو كبيرًا جدًّا ثم يصغر مع الأيام وقد ينتهي وعندما نعود إلى هدوئنا قد نتعجب من ردود أفعالنا

وقد نندم على ما أطلقناه من كلمات كالرصاص أطلقت ولا يمكن استرجاعها.

من يملك زمامه عند الغضب فقد ملك كل شيء .... أصعب شيء في النفس البشرية أن تكون هي ما تقودنا ولا نكون نحن من يقودها. ولقد علمنا ذلك ديننا الحنيف؛ فقد جاء رجل قائلًا للنبي ﷺ: أوصني. فقال: "لا تغضب" فردد مرارًا قال: "لا تغضب".

غدًا ستذهب نسرين إلى هذا الدكتور المعقد المقطب الجبين الذي كلما رأته شعرت أنه يضرب زوجته ليلًا ونهارًا ستذهب لأنها لم تتعود أن تنهزم أبدًا.

سرعان ما أقبل اليوم التالي فذهبت في الصباح إلى الشركة وقامت بمراجعة بعض الملفات وذهبت إلى أستاذ مسعد المختص بتسجيل الزيارات الخارجية ووجدته حزينًا كعادته وهي تعلم لماذا دائمًا هو حزين. فها هو الابن الوحيد الذي تمناه كثيرًا ودفع لأجله الغث والثمين ... بعد عشر سنوات من الزواج وأربع عمليات حقن مجهري ها هو الأمل قد تحقق. لا تنسى يوم أن جاء إليهم وهم مجتمعون في مكتبها وكاد من شدة فرحته وسعادته يحتضنها فهو يعتز بها كأغلب زملائها وأخبرهم وهو في شدة الفرح أن الأمل يكاد يتحقق وأن الحمل حدث وزوجته حامل بعد أربع عمليات فكانت الخامسة هي فاتحة الخير عليهم وسيأتي ولي العهد.

يومها فرح له الجميع من قلوبهم حتى ذوو الطباع السيئة وذوو الأحقاد الذين لا يفرق معهم أحزان أو أفراح الآخرين .... إلا أن الجميع فرحوا له بصدق من قلوبهم.

يبدو أن بداخلنا جميعًا درجة من الإنسانية ولست أدري ما السبب في ندرة حدوثها.

لا تنسى نسرين يوم أن أخبرتها رانسي ليلًا بأن زوجته ولدت فأسرعت في اليوم التالي إليه ودخلت عليه المكتب لتهنئته إلا أنها رأته في غاية الحزن فشعرت بالارتباك فتنبأت أن يكون قد ألم بالطفل مكروه فتعللت بحجة واهية وتركت المكتب سريعًا. فالتقت في الطرقة بزميله في المكتب أستاذ منعم فهو من الناس الذين تحترمهم كثيرًا نسرين وتكنّ له المعزّة فسألته ولكنه أخبرها مطأطئًا رأسه أنه رزق بولد معاق ذهنيًّا.

عجيبة هذه الدنيا هل إصرار أستاذ مسعد هو ما جعل هذا يحدث وهل لو رضي بالأمر وترك الأمر كله لله لم يكن على ما يبدو عليه من الأحزان اليوم.

ولكن ألم يأمرنا الله بأن نأخذ بالأسباب ....؟! فلماذا تحدث يومها كثير من الزملاء عن الرضا وأن الله يختار لنا دائمًا الأفضل ولكننا لا نرضى واتهموه أنه لو كان رضي لما تحمل هذا العناء الآن ...؟! ولكن من الذي يستطيع أن يجزم أنه لم يكن راضيًا؟ لماذا يُنَصب الناس أنفسهم أربابًا وقديسين يدّعون الحكمة والرضا بالمكتوب عندما لا يمثل الأمر لهم أي شيء؟! ولماذا يلومون عليه كثرة العمليات الآن والبحث عن الولد وأنه لم يرضَ بالمقسوم؟!

وهل كان سيدنا زكريا عليه السلام عندما دعا الله قائلًا:

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ۖ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ ﴾[٢].

أكان سيدنا زكريا غير راضٍ بالأقدار أم كان طامعًا في ربه وكرمه فقد بلغ من الكبر ما بلغ؟! والأغرب أن امرأته عاقر ولم ييأس من الدعاء ولم يمنعه سنه من الرغبة في الولد ولا فكر كيف سيربيه بعد هذا السن والضعف لم ير شيئًا إلا أنه يريد ابنًا فهو بشر وكلنا بشر.

لم يكن ما فعله أستاذ مسعد من كثرة العمليات يعني أنه غير راض ولم يكن سعيه إلا رغبة بشرية بداخل كل منا لا علاقة لها بالرضا فقد نحرم من شيء ويكون قلبنا راضيًا وقد نعطي شيئًا ويكون ما بداخله لا يمت إلى الرضا بشيء.

ولم يكن هذا الولد الذي وهبه الله له هو عقابًا لسعيه ولم يكن أبدًا غضبًا من الله... فالله أكرم من أن نظن به ذلك.

---

[٢] مريم: ٤ - ٦

ولكن لماذا؟؟؟ ... سرحت نسرين لبرهة أيكون أستاذ مسعد قد ارتكب جرمًا يحاسبه الله عليه الآن أم يكون من الصالحين فيبتليه الله به أم يكون غير ذلك ... استغفرت نسرين ربها سريعًا فلماذا تنصب نفسها هي الأخرى نفسها إلها على ما حدث؟!

وخلصت إلى أنها حكمة الله في الأمور والأقدار، ومن المحال أن ندركها مهما فعلنا فسندرك البعض ويغيب عنا الكثير.

على كلٍّ عادت من شرودها عندما قال لها أستاذ مسعد: امضي يا بشمهندسة.

أتكون قد أخبرته بالذهاب إلى المستشفى وهي غارقة في كل هذه التخيلات ...؟! يبدو أن هذا ما حدث بالفعل.

خرجت نسرين من الشركة واجمة بعض الشيء من التفكير في حكمة الأشياء أيكون حرمانها من أمها وأبيها نقمة أم نعمة؟ فإذا كانت نعمة فكيف يكون بقاؤها وحيدة في المنزل نعمة ... ما الحكمة من هذه الأشياء؟ أم يكون نقمة فإن كان نقمة فلماذا؟؟ وماذا تكون قد اقترفته من الذنوب في هذه السن الصغيرة وإن كان نعمة فكيف...؟

أصابها التفكير بالصداع وانتهت إلى أنه يجب أن نسلّم في كل أمورنا أنها نعمة من الله حتى وإن لم نعي ذلك وإن رب الخير لا يأت إلا بالخير.

سرعان ما وصلت إلى المستشفى وليس لقصر الطريق ولكن لعمق التفكير في كل ما يحدث من حولها. ركنت سيارتها في مكان انتظار خاص بالمستشفى ثم نزلت من

سيارتها متجهة إلى الباب الرئيسي ودخلت إلى الاستقبال. لم يكن مستشفى صغيرًا أو درجة ثالثة كما توقعت بل كان مستشفى أنيقًا ومنظمًا.

سألت عن مكتب الدكتور حازم فأخبرتها الفتاة ذات التنورة الكحلي والقميص الأبيض وهو زي موحد لكل الفتيات هناك أنها في الدور الثالث فذهبت إلى المصعد وضغطت على المفتاح. لم يلبث المصعد أن وقف وفتح أبوابه عن مصراعيه فرفعت رأسها لتجده أمامها. نعم إنه دكتور حازم مرتديًا البالطو الأبيض ..... نظر إليها بابتسامة جميلة فألقت عليه السلام مبتسمة أيضًا.

وقالت بارتباك لا تدري ما سببه: أنا للتو كنت أسأل عن مكتبك وو ....

فرحب بها ولم يدعها تكمل حديثها ربما نوع من الذوق لأنه أحس بارتباكها أو قوة الشخصية.

صعدا معًا في المصعد ... استرسلت نسرين في تفكيرها ... لماذا لم يذهب إلى ما كان ذاهبًا إليه ولم يقل لها أن تنتظره في المكتب؟!

هل يكون قد أدرك أنها عصبية وتغضب سريعًا فلم يشأ أن يفعل ذلك أم أن هذا جزء من عادات وكرم الفلاحين واحترامهم للضيف والترحيب به؟

ولكنها الآن ليست في زيارة لمنزله إنها في العمل سرحت عيناها كعادتها ثم تنبهت إلى أنه واقف بالقرب منها بعض الشيء ولأول مرة تشعر أنه طويل فهو أطول منها على

الرغم من طولها إلا أنه أكثر طولًا وأعرض ليس سيئًا كما رأته في مكتبها بل على العكس يبدو وسيمًا. طول القامة مع الصدر العريض للرجل يعطيه مظهرا رائعًا كالنجوم ..... وارتداء البالطو زاد من جاذبيته.

أحست أنها ولأول مرة تلاحظ أن شكل البالطو الأبيض جميل وأدركت لماذا يختارونه للأطباء أكيد أنه يبعث بالراحة والهدوء على النفوس.

لا خلاف أن هناك شيئًا في الطول يبهر النفوس فهي مثلًا تعلم أن وجهها جميل مثل الكثير من النساء ولكن ما يجذب إليها الأنظار هو طولها الفارع ... وتكوينها الجسدي الممشوق.

تتعجب من الذين يقولون إن الأنوثة في القصر كيف يكون هذا .....؟!!

إن الطول من علامات الجمال وهو مطلب أساسي لعارضات الأزياء ولتنافس الجميلات في كل مسابقات الجمال في العالم.

إن كثرة التحليل والتخيل تكاد تصل بها إلى الجنون .....

في كثير من الأحيان إذا وصلت إلى هذه الحالة تهرع إلى سجادة الصلاة حيث يعود لها سلامها النفسي ولكن كيف لها أن تفعل هذا الآن؟!

لا خلاف أن هناك سرًّا عظيما في الصلاة ..... أمسكت برأسها من كثرة التفكير ... فبادرها بقوله:

- ألف سلامة خير ...

هاجمها بعينيه وهو يقول فارتبكت أيضًا هذه المرة حتى إنها لم تجب لبرهة ثم تمتمت قائلة:

- لا أبدًا لا شيء.

توقف المصعد فرجع إلى الخلف وأشار إليها بالخروج. لم تتوقع منه أن يكون من هذا النوع المهذب من الرجال وأن يقدمها عن نفسه لم تكن انطباعاتها عنه في المرتين السابقتين طيبة على الإطلاق.

أتكون هذه طبيعته ويكون في المرتين السابقتين كان متضايقًا لسبب ما على عكس عادته أم أنه يعاملها هكذا ليقضي مصلحته؟!

لا تعيش نسرين فرحة الأشياء دائمًا من كثرة التفكير والتحليل. كثيرة الظن هي في الآخرين مع أنها تدرك أن النيات لا يعلمها إلا الله.

ربما يكون الشك جزءا من شخصيتها وربما يكون لأنها صدمت في الكثير من الناس بعدما كانت تظن حسن نواياهم وقد يكون نتيجة شيء ما في تربيتها يدعوها قهرًا لذلك.

على العموم لا يكلف الله نفسا إلا وسعها فالله لا يحاسبنا على تفكيرنا وخواطرنا إلّا إذا تحولت إلى فعل .... فهو تفكير لا يتجاوز مجرد عقلها وربما يكون خارجًا عن إرادتها.

دخل معًا سويًّا إلى المكتب وجلس على الكرسي الخاص به أمام المكتب وبدأت في إخراج الأوراق والهارد ديسك ومدت يدها إليه معطيةً إياه. أخذها ناظرًا إلى يديها .. لم تشعر بالبراءة في عينيه مطلقًا من هذه النظرة. كان يتعمد أن ينظر إليها في عينيها. شعرت بالارتباك التي لم تكن تعلم أهو ظاهر عليها أم لا، وهذا ما ضايقها أكثر، لماذا تشعر بالارتباك وهي التي تعودت على صد مثل هذه النظرات من الكثير من الرجال ولم تعبأ بها ولم تحرك لها ساكنا؟! ولماذا عاملها بهذا الجفاء في المرتين السابقتين إذا كان بكل هذه الرقة؟!

على كلٍّ هو رجل والرجال لا يستطيعون أن يفهموا أنفسهم فكيف لها أن تفهمه ..؟!

رن على جرس بجواره فدخلت عليهما العاملة فأشار إليها قائلًا: بشمهندسة نسرين تشربي إيه؟ فأجابته بسرعة قائلة: لا شكرًا.

فأعاد عليها السؤال مرة أخرى بثقة أكبر: تشربي إيه يا بشمهندسة؟

فما كان منها إلا أن قالت: نسكافيه .....

فوجه كلامه إلى العاملة بمنتهى الثقة والقوة طالبًا واحد نسكافيه وفنجان قهوة مضبوط.

يلفت نظرها أشياء صغيرة في الشخصية قد لا تلفت نظر الجميع فهو حازم اسمًا وصفة ... فتعامله مع العاملة استوقفها فهو على قدر عالٍ من الثقة في النفس وقوة الشخصية.

استطردت في كلامها معه عن البرنامج وأخذت تشرح له عمل البرنامج مشيرة إلى الشاشة بإصبعها بين الحين والآخر وهو بدا منتبهًا إلى حد كبير .. أدركت من أسئلته ومن تعامله مع الكمبيوتر أنه لا يجيد استخدامه ويجد صعوبة في التعامل معه إلا أنها حاولت إيصال المعلومات إليه قدر المستطاع.

أنهت كلامها قائلة وهي تقف وتستعد للمشي .. وسارع في القيام من مقعده هو أيضًا:

- لو احتجت أي حاجة يا دكتور كلمني في أي وقت.

ثم استطردت واستدارت مرة أخرى: من الساعة العاشرة إلى الساعة الخامسة لأنه موعد انصرافنا من الشركة .....

ليست قليلة الخبرات نسرين ولا الذكاء. من يحيا وحيدًا ومن يموت أبواه كلاهما في سن صغيرة تثقله الحياة بما يكفي ويكتسب الكثير من الخبرات رغمًا عن أنفه وتصفعه الدنيا كثيرًا بين الحين والآخر لتعلمه رغمًا عنه.

فهي تضع حدودًا للعملاء في التعامل معها وتريد دائمًا وأبدًا أن تعطي رسالة لأي رجل أن هناك حدودًا للتعامل معها .. أو أنه لا يعني لها شيئًا على الإطلاق .. لماذا لا تعلم ... سر من أسرار نسرين تدركه جيدًا ولا تعلم لماذا تتصرف هكذا ربما يكون تصرفًا غير إراديّ. فمن طبيعة الأنثى أن تسعد لكلمات الإعجاب والتقدير والاهتمام من الرجل وأن تفرح كثيرًا لمحاولته التودد إليها.

إلا أنها دائمًا عكس ذلك تمامًا على الرغم من سعي الكثير من النساء بل المتزوجات إلى تسول كلمة إعجاب أو حتى نظرة من رجل تعلم ذلك جيدًا ولا تدرك لماذا هي كذلك بل تشعر في بعض الأحيان بأنها تصد الرجال دونما إرادة منها. ثم تحدث نفسها: ربما لم أقابل من أريد .. وعلى كلٍّ لا تركز في هذا الأمر كثيرًا ... يضيق صدرها عندما تفكر في هذا الأمر ولا تصل إلى شيء.

أمضت باقي يومها كعادتها كل يوم بعد انصرافها من عملها ولا يكون قد تبقي لها الكثير من الوقت فهي تمضي قرابة ثماني ساعات في عملها وربما تصل إلى عشر ساعات في بعض الأيام.

انتهت من كل أعمالها في المنزل وذهبت إلى المطبخ لتحضر كوبًا من الينسون الساخن لتفر إلى السرير الذي تحلم به طوال اليوم.

أخذت كوب الينسون وقبعت في سريرها متناسية ما حدث في يومها من أحداث وبخاصة مقابلتها للدكتور حازم وأمسكت بكتاب وأخذت ترتشف من كوب الينسون براحة واستمتاع ثم سرعان ما .. خلدت إلى النوم وذهبت إلى عالم آخر.

في هذه الليلة رأت نفسها في ثوب يشبه ثوب راقصات الباليه إلا أنها أشد جمالًا من جميع الباليرينات وفي غاية الأنوثة والرقة والنعومة ويعلو وجهها ضحكات جميلة تزيد من بهائها وتبدو أسنانها كلما فتحت ثغرها كاللؤلؤ الذي يتساقط ويتراقص فوق مياه البحار ... وهي ممسكة بحبل جميل فضي اللون براق يتدلى من السماء تتراقص معه أينما يوجهها الهواء بكل نعومة كالعصفور .. ويعزف الهواء مع الأشجار معزوفة رائعة في ضوء القمر والحبل الممسكة به تفوح منه رائحة عطر جذاب تفوح في المكان كله تتراقص به يمنة ويسرة في أجواء رومانسية حالمة. وفجأة إذا بيدها تكاد تفلت من الحبل وتسارعت دقات قلبها بشدة ... ولكن سرعان ما وجدت يدًا تمسكها بقوة فتشبثت بها بشدة وحاولت أن تنظر إلى صاحب اليد إلا أنه احتضنها عنوة فابتعدت بوجهها لتنظر من يكون هذا الفارس النبيل الذي أنقذها بعد أن كادت تسقط ... فإذا به الدكتور حازم ولكنه أجمل من أي مرة رأته فيها إنه هو الآخر يتناثر اللؤلؤ من ثغره ويبتسم لها في حنان يجعله في غاية الروعة والبهاء وتحمل عيناه كل معاني الحب والعشق وأخذا يتراقصان معًا ثم ذهبا في عناق طويل

.. وفجأة وهي تنظر في عينيه حالمة باسمة إذا بها تسمع صوتًا مفزعًا مرعبًا إنه صوت المنبه اللعين أيقظها من حلمها مفزعة أخذت نفسًا عميقًا ثم سرعان ما هدأت وابتسمت مسترجعة حلمها في هدوء تام وسعادة ... ومرة أخرى أفزعها جرس الهاتف فرفعت السماعة لتجدها رانسي التي سرعان ما بدأت بالثرثرة إلا أن نسرين لم تسمع من ثرثرتها شيئًا فقد كانت غارقة في استرجاع حلمها الجميل.

ليت اللحظات الجميلة تدوم أكثر ولكن من يدري ربما يكون قصر وقتها سر جمالها ولو طالت لفقدنا قيمتها وتأثيرها فكل شيء تعتاده النفس تألفه.

ذهبت نسرين إلى الشركة وهي في غاية السعادة ... ملامحها تحمل الكثير من الهدوء النفسي، أثنى عليها الكثير من زملائها حتى إيناس نظرت إليها بمكر ودهاء كعادتها قائلة: واضح إن في أخبار حلوة. إلا أنها لم ترد عليها ولكنها لم تكن تقصد هذه المرة إغاظتها فهي غارقة في تفاصيل حُلمها الجميل.

أخذت في العمل وانهمكت على الكمبيوتر إلا أنها سرعان ما سرحت مرة أخرى وتلاشت السعادة المرسومة على ملامحها متسائلة: ما معنى هذا الحلم؟ ولماذا الدكتور حازم؟ أتكون معجبة به؟

تكاد تنطق وهي وحدها قائلة: لا. ثم تعود وتسأل نفسها: ولم لا؟ فتعود لتقول: أنا لا أعرفه ولا أعرف حتى إن كان متزوجًا أم لا.

تذكرت الآن أنها لم تنظر في يده ولو مرة واحدة فماذا لو كان متزوجًا؟! ولكن ما معنى هذا الحلم؟ ولماذا حازم؟؟؟

أنهكها كثرة التفكير وكثرة التساؤل ولكنها أنهت هذا السيل من الأفكار في حدة قائلة: مجرد حلم ليس له معنى وانتهى ... وربما يكون لفت انتباهي فقط نظرًا لقوة شخصيته ذكائه ليس أكثر أو أقل ... إنه إعجاب بصفات وليس بشخص .... ارتاحت إلى هذا التحليل، ولكن إذا كان هكذا لماذا تنظر ما بين الحين والآخر إلى الباب وتنتبه عند دخول أي شخص ثم سرعان ما تحالفها خيبة الأمل .. ربما تمنت أن ترى الدكتور حازم يدخل من الباب ولكن ما الذي سيأتي به في الأيام التالية؟! لم تستطع أن تلغي تفكيرها فيه .... ما بين الحين والآخر يهاجمها وجهه .... تسترجع يوم المستشفى والأسانسير وكيف قدمها عن نفسه تسترجع العاملة تسترجع نظراته الجريئة. لماذا كان ينظر إليها هكذا عندما ذهبت إليه ...؟ إذا كان معجبا بها أو حتى لفتت انتباهه لماذا لم يحاول أن يتحجج ويأتي إلى مكتبها أو حتى يحاول الاتصال بها تحت أي حجة؟!

تعلم أنها ستزوره بعد شهر لتحديث البيانات ومتابعة البرامج ربما كان ينتظر هذا اليوم ... ولماذا لم يتحايل ليأتي ....؟! إنها تعرف أن الرجال لا يضيعون فرصة.

انفضت نفسها من التفكير مستاءة لماذا كل هذا التفكير فالرجل لم يفعل شيئًا وهي أيضًا لا يشغلها أن يأتي أو لا يأتي ....؟! إذن لماذا تفكر فيه أيكون كبرياؤها هو الدافع فهي اعتادت على أن يتودد لها الرجال ويتلمسوا أي وسيلة للقرب منها ..... فكيف لا يتودد إليها كما يفعل الآخرون ربما يكون ..... وربما كان إعجابًا.

عقب هذه الأيام كانت ساهمة وحزينة ..... إنها تدفع ثمن الحلم الذي سعدت فيه ثم سرعان ما تلاشى هذا الأمر تمامًا بداخلها ولم تعد تفكر فيه .... فهي قادرة على وأد أي مشاعر قبل أن تكبر.

مضت حياتها على الوتيرة نفسها فهي تذهب كل يوم كعادتها إلى العمل ثم تعود إلى منزلها بعد شراء بعض احتياجاتها ..... تصطحب رانسي معها أو لا تصطحبها تفعل أغلب الأشياء المعتادة كل يوم ..... مملة هي الحياة ورتيبة في كثير من الأوقات.

تتساءل فيما بينها: ما قيمة الحياة؟! هل علينا أن نحياها لأننا مأمورون بذلك أم أن هناك هدفًا آخر لا نعلمه؟ ثمة شيء لا ندركه وهو الذي يحول بيننا وبين السعادة .. إذا كانت حقًّا تشعر بعدم السعادة لوحدتها إذن لماذا لا توافق على أحدهم فهي في أمس الحاجة إلى ذلك ... لماذا لا توافق على محمود العاشق الولهان؟!

إذا كانت فطرة المرأة هي الرغبة في الارتباط والاستقرار .... فكيف بمن تكون وحيدة ستكون رغبتها في الارتباط أشد .... فلماذا لا تقدم على مثل هذه الخطوة إذا كان كل من حولها ينشدون ودها إذن فأين المشكلة؟؟؟؟!

إن النفس البشرية مليئة بالخبايا والأسرار التي لا تعلمها نسرين حتى عن نفسها ولا يعلمها إلا الله .... نحن مسيرون في أغلب أمورنا منصاعون رغمًا عنا لأوامر يمليها عقلنا الباطن علينا دونما تحكم منا أو إرادة.

إن هناك قوى خفية في عقلنا الباطن هي التي تحركنا وتتحكم في أفعالنا وأحاسيسنا تجاه الأشياء ... كم تمنت نسرين كثيرًا لو كانت تعلم الغيب.

في كل مرة تتعمق في التفكير سرعان ما يصيبها الصداع وتهرع إلى الأقراص المسكنة ثم إلى سجادة الصلاة.

تمضي الأيام كما تمضي السنون بلا جديد تتأرجح نسرين ما بين السعادة وعدمها، قد تسعد لمعطف جديد اشترته أو حذاء، وقد تسعد لثرثرة مع زميلة أو صديقة، وقد تسعد لعمل أنجزته أو زيارة أخيها وأولاده لها أو زيارتها هي لهم وقد لا يسعدها كل ذلك.

كلما نكبر تتقلص السعادة في أعيننا كأن السعادة في الحياة مرتبطة بصغر أعمارنا وقلة عقولنا أو بمعنى أصح بعدم النضج أو قلته ... فكلما كبرنا ونضجنا وجدناها

تافهة أفراحها قليلة .... القليل فيها الذي يُسعد وما يجذبنا اليوم ربما غدًا لا يكون له أدنى تأثير يذكر علينا ... لماذا هي هكذا؟! لا أعلم لعلها إرادة الله. لعل الله أراد أن يستقطبنا إلى الآخرة هكذا .. ربما لو كانت السعادة تامة في الأرض لأصبحنا متعلقين بها بشدة ولأصبح مغادرتنا لها شيئًا قاسيًا وصعبًا إن الله أراداها دار ممر لا مستقر. إذا كان هكذا .... فهل يشعر الأطفال بالحزن العميق لموتهم وفراقهم الحياة عكس ما نشعر به؟

وها هي عقلها قد تشتت مرة أخرى في التفكير الذي يرهقها دائما تسرح وتتخيل أشياء أقرب ما تكون إلى العذاب.

لماذا تجلد نسرين نفسها بهذه الطريقة؟؟ ما الذي يعذبها بالداخل فيجعلها تجلد نفسها ليل نهار ولا تترك لها أي مخرج للحياة ...؟ ليس هناك إجابة وربما تكشف السطور القادمة عن السبب.

بينما هي متعمقة في عالمها الخاص إذا بإيناس تفتح باب المكتب عليها فتهب نسرين من على مقعدها مفزوعة ... وكانت واعدت إيناس اليوم على أن يخرجا بعد العمل لشراء حذاء لكل منهما ... فألقت نسرين بالملف الذي أمامها في وجه إيناس فزعة .... وقالت لها: منك لله يا شيخه خضتيني ... فضحكت إيناس بصوت عالٍ جاء على أثره محمود.

فكيف يضيع هذه الفرصة ... وأخذ يلقي دعاباته المعتادة ويلم الملف المبعثر مع نسرين وإيناس ... ثم أمسك بإحدى الورقات المتطايرة من الملف وقرأها فكانت منها اسم الدكتور حازم ثم .....

قال لنسرين: أتذكرين هذا الدكتور؟

فأجابته: بالطبع إنها تذكره فهي كانت معه منذ أسبوعين.

حقا أمضى أسبوعان؟! إنها تشعر أنها كانت معه بالأمس تعجبت من سرعة الأيام أتدور الأيام سريعة لرتابتها أم لمتعتنا بها أم لتسارع أحداثها؟

أخبرها محمود أن هذا الدكتور قد تعرض لحادث أليم؛ فقد انقلبت به السيارة.

فزعت نسرين عندما سمعت الخبر وسألته بسرعة: وماذا أصابه؟

فأجابها قائلًا: بعض الكسور ولكنه لم يزل حيا.

تنفست نسرين الصعداء وارتمت علي الكرسي لترى عيني إيناس تهاجمها في مقلتيها بخبث ولؤم، أتكون قد شعرت بشيء؟ أيكون بدا عليها الاهتمام دون أن تشعر ... ؟ ولكن محمود لم يلحظ شيئًا .. ثم تراجعت في تفكيرها وماذا سيكون ظهر عليها؟ إنها مشاعر طبيعية فلا أحد يحب أن يسمع خبرًا مؤلمًا عن أي شخص. استطردت تسأله إلا أن دبورا كبير الحجم دخل المكتب فجأة فقلبه رأسًا على عقب فأخذوا يطاردونه وتعالت صوت ضحكاتهم ومحاولاتهم المضنية لإخراج الدبور.

وها هو محمود يبالغ كعادته لإضحاك نسرين فأخذ يصعد على الكرسي وينزل مع صرخات نسرين وإيناس، وجاء عم كمال على أصواتهم ولم يلبث أن اكتظ المكتب عن آخره بزملائهم الذين أخذوا يتبادلون الضحكات والنكات وما أنقذهم من هذا الدبور سوى عم كمال ... فأخذوا يصفقون له وهو ظافر به في زهو وكأنه بطل من أبطال حرب أكتوبر.

انفض المولد الذي أقيم بلا سابق موعد ... وأخذت نسرين تلملم الملفات التي أمامها وترتب مكتبها ... ثم اصطحبت إيناس إلى الخارج و أخبرتها أنها لن تستطيع الخروج اليوم فهي متعبه جدًّا.

وبختها إيناس وأخذت تلح عليها في الخروج وتعدها بعزومة على الكب الكيك الذي تعشقه ... إلا أن كل محاولاتها باءت بالفشل فقد رفضت نسرين تمامًا لأنها متعبة .. ثم ذهبت كل واحدة منهما إلى سيارتها.

انطلق موتور السيارة وانطلق معه خيال نسرين فشردت كعادتها إلى بعيد إلى عالمها الخاص عالمها الذي لا يطلع عليه أحد سواها. عالمها الذي يحوي آلامها وأحزانها وأفراحها وكثيرًا من أصدقائها وكثيرًا من المواقف التي تحللها رغمًا عنها. إنها تذهب إلى أغوار ودهاليز عقلها الباطن .... ها هي تتساءل لماذا لم تفي بوعدها مع إيناس أهي حقًّا متعبة من العمل ومن مطاردة الدبور هذا اليوم ...؟!

هي تعلم جيدًا أن التعب لا يثنيها عن فعل أي شيء اعتزمت عليه فماذا عساه أن يكون .... أيكون الخبر الذي سمعته عن حازم هو السبب؟

إن ضحكاتهم في المكتب ودعاباتهم عند مطاردة الدبور لم تثنها عن التفكير فيما حدث له ولم تشغل تفكيرها عنه، لماذا يشغل تفكيرها إلى هذا الحد؟ ما الذي جعله يقتحم أحلامها ويتراقص معها على الحبل المدلى من السماء على الرغم من أنها لم تتعامل معه سوى مرات معدودة ولم يأت على بالها أبدًا طيلة الأيام السابقة .... ؟ أيكون تعاطفًا عاديًّا مع شخص ألَمّ به مكروه ..... أتكون الإنسانية التي لا يخلو منها أي إنسان ...؟ قد تكون!!

أفاقت نسرين وهي تقف بسيارتها على الرصيف المواجه لمنزلها وانتبهت على صوت عم عبده الذي يوجهها يمينًا ويسارًا ... لم تكن تسمع صوته إلى هذا الحد؛ هي شاردة بذهنها إلى أبعد مما يتصوره أحد.

نزلت من سيارتها وأخذت تصعد الدَرج وفتحت باب شقتها لاهثة... انتبهت إلى أنها لم تركب المصعد ... إنها غارقة في التفكير إلى هذا الحد تجد نفسها مدفوعة إلى أفعال لا تريدها ... أفعال قهرية تفعلها رغمًا عنها، لماذا يشغل بالها حازم وما حدث له إلى هذا الحد؟!

لا خلاف في علم النفس أن هناك بعض الأشخاص الذين نتأثر بهم رغمًا عنا قد لا يكونون من أقاربنا أو أحبائنا، ولكنهم يستولون على تفكيرنا بالرغم عنا، إنه سلوك لا يوجد تفسير له حتى الآن، ولا يعلم مغزاه إلا الله، ولا يدل بأي حال من الأحوال على محبة أو اهتمام خاص لهذا الشخص .... إن هذا التفكير يروق لها.

تذكرت عمها عندما كانت تتحدث معه عن وفاة والد زميلتها وعن حزنها عليه على الرغم من أنها لم تره سوى مرة واحدة ومع ذلك تشعر بحزن شديد عليه... فأخبرها أن هناك أشخاصًا يؤثرون فينا رغمًا عنا ... لماذا؟؟ ... لا نعلم، وحكى لها يومها أنه لم يبكِ على أبيه مثلما بكى على العامل الذي كان يعمل في البنزينة التي يتعامل معها .. لا يعلم لماذا تأثر به كل هذا التأثر، عندما لم يجده فسأل عليه زملاءه فأخبروه أنه مات ... لا يعلم لماذا حتى اغرورقت عيناه بالدموع حينها؟ ولماذا وجد نفسه مدفوعًا بمشاعره تجاهه هكذا؟

وأكمل قائلًا: ربما كان جميل الهيئة فحزنت عليه، ربما كنت أجده مقبلًا على الحياة، قد يكون هذا ما استوقفني فيه ... لا أعلم ولكن كل ما أعلمه أني تأثرت به أكثر من أي شخص تُوفي في حياتي.

سألت عمها: أين أجد تفسيرا لهذه المشاعر؟

فأخبرها عمها: ربما تجدينه في كتب علم النفس.

ومن يومها وأحبت نسرين القراءة في علم النفس وأغوار النفس البشرية.

على كلٍّ فقد أنهت حوارها مع نفسها بأن هذا الشعور تجاهه طبيعي ولا غبار عليه... وأنها يجب أن تنهي هذا التفكير نهائيًّا.

رن جرس الباب، ذهبت إليه مسرعة، أنه أخوها وزوجته، لا تنكر أنها تحب زوجته، إلا أنها تعلم أنها الأخرى تغير منها وتقوم بتقليدها في كل شيء حتى مفرداتها في الكلام.

دخلا وأخذا يثرثران كثيرًا ولكنها كانت شاردة إلى حد ما .. فانصرفا مع نظرات معاتبة من زوجة أخيها .. إن نظرات العتاب لا تؤلم نسرين بل تجلدها، مهما أحبنا الآخرون إلا أن دماءنا مختلفة .. لا يلتمسون لنا الأعذار .. وربما كانت هي المخطئة، ربما كان عليها أن تتجاوز عن شرودها وتفكيرها لتحضر معهما بذهنها.... إلا أنها مشاعر وأحاسيس رغمًا عنها ... لمَ يجب عليها دائمًا أن تكون وائدة لمشاعرها؟!

دخلت إلى غرفتها وألقت بنفسها وهي في كامل ملابسها على السرير، وشردت بذهنها إلى طفولتها، إن سريرها الذي تنام عليه هو سريرها منذ نعومة أظافرها، إن هذا السرير يشكل علامة استفهام كبيرة في حياتها، لا تكرهه إلا أنها لا تحبه، إنه سبب لإحباطها في الحياة وربما كان السبب الرئيسي في تكوين شخصيتها كليًّا.

شردت مرة أخرى وتذكرت أبويها، هل يعقل أن تكره الأم أو الأب ابنتهما؟

الفطرة السوية تقول لا، ولكن هل الأب والأم اللذان ينهران أبناءهما ولا يكترثان لمشاعرهم وأوجاعهم هل هذان يزعمان حقًّا أنهما يحبان أبناءهما ... كلا إنهما لا يفعلان.

أغبياء من يرضون أن يتحملوا الأمانة ثم لا يحملوها؛ فقد أبت السماوات والأرض والجبال أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان ... فالابن والابنة أمانة.

أيكون ذلك هو السبب في رفضها للزواج ... أتكون في عقلها الباطن لا تريد أن تكون مسؤولة عن طفل ربما تسببت له في عقدة نفسية ... ولكنها ربما كانت الأجدر في أن تحسن تربيته وصناعته ... فمن يحرم من شيء هو الأكثر قدرة على منحه ... فليس دائمًا فاقد الشيء لا يعطيه فقد يكون هو الأجدر بذلك ... تفكر وتفكر ثم تنتهي إلى لا شيء كالعادة.

فتحت باب شقتها وكانت الساعة شارفت على التاسعة والنصف مساءً، ثم نزلت إلى الشارع وأخذت سيارتها وأخذت تجوب الشوارع بلا بغية معينة ولا هدف، وفجأة توقفت أمام المستشفى وجلست تنظر إلى داخله وحوله لعلها ترى "حازم"... وفي هذه اللحظة تذكرت شيئًا ... إنها لم تسأل "محمود"؟ وماذا بعد الحادثة؟ ومتى حدثت؟ هل ما زال طريح الفراش في بيته أم في مستشفاه أم أنه شفي وعاد إلى

عمله؟ ... كل هذا لم يخطر على بالها أبدًا ... بل إنها لم تسأل "محمود" ما علاقته بحازم؟ وكيف عرف بهذه الحادثة؟

أمسكت المحمول وكادت تتصل على رقم محمود إلا أنها تراجعت؛ كيف تسأله عليه؟ وماذا سيقول عنها؟ سيشك فيها وإن شك فسيشك في ماذا؟ ... إنه لم يخطر حتى على بالها طوال الأسبوعين الماضيين ... إنها حتى لا تعرف إن كان متزوجًا أو لا.

تراجعت تمامًا إلا أن فضولها يقتلها ولكنها تعلم أن عقلها سيغلب فضولها، جلست في سيارتها تنظر يمينًا ويسارًا، وإلى داخل المستشفى ولكن دون جدوى.

انصرفت نسرين وفي رأسها ألف فكرة وفكرة تتزاحم ثم سرعان ما تتلاشى.

فتارة تفكر في أن تذهب إلى المستشفى كمريضة ثم تتراجع أو أن تطلب هاتفه وتدعي أن الأرقام على الكمبيوتر عندها حصل فيها مشكلة ... إلا أنها سرعان ما تتراجع ويهزمها كبرياؤها.

إن كبرياء المرأة أشد وأقسى وأعنف من كبرياء الرجل؛ فطبيعة المرأة أن تكون لينة سهلة... فالمرأة صاحبة الكبرياء تخسر دائمًا كل المعارك أمام كبريائها فهو فارسها المغوار الذي يجب أن يفوز بلا منازع.

أدارت محرك سيارتها وانطلقت في شوارع الإسكندرية الرحبة ... إن الإسكندرية واسعة في شوارعها كالرجل الكريم الذي يفتح أبواب منزله على مصراعيها لكل ضيف ... وكيف لا وهي التي يفد إليها الآلاف في كل صيف فلا يكن منها إلا أن تهبهم بحرها ونيلها وشمسها وجمالها الفتان.

ارتسمت في عينيها ابتسامة خفية فهي كالإسكندرية فاتنة ومتميزة .. ليس هناك فتاة لا تعرف إن كانت جميلة أم لا، أو تجهل مواطن جمالها ... وليس هناك من ينجو من براثن الغرور ولو لبرهة، ربما سبب تأخر بعض الفتيات اللاتي تتمتعن بالجمال أن عقلهن يخبرهن دائمًا أنهن أحق بالأكفأ وربما كان جمالهن سببًا معينًا لهن على التأخير في الزواج فلا هن يشعرن أنهن غير مرغوبات، ولا هن يشعرن أنهن فتيات عاديات ... فبعض النساء استثنائيات ... ربما يكون هذا التفسير المنطقي المقبول لهؤلاء الفتيات وربما لا ... فالنفس البشرية لا يعلم كنهها إلا من خلقها فنحن نجهل الكثير عن أنفسنا.

سبحان من خلق هذه النفوس البشرية ... فالنفس مليئة بالأسرار التي لم يدركها علماء علم النفس ولا هؤلاء الذين يدعون إنهم من أصحاب علم الفراسة. فلا يعلم كنهها إلا من خلقها.

دكتور مصطفى محمود له مقولة رائعة في ذلك تعبر عن غرابة النفس البشرية فيقول: "إذا أردت أن تفهم إنسانًا فانظر فعله في لحظة اختيار حر .. وحينئذ سوف تفاجأ تمامًا .. فقد ترى القديس يزني وقد ترى العاهرة تصلي .. وقد ترى الطبيب يشرب السم .. وقد تفاجأ بصديقك يطعنك وبعدوك ينقذك ... وقد ترى الخادم سيدًا في أفعاله .. والسيد أحقر من أحقر خادم في أعماله ... وقد ترى ملوكًا يرتشون وصعاليك يتصدقون".

لم تنتبه نسرين إلا على "كلاكس" إحدى السيارات فمن الواضح أنها كادت أن تلمس سيارته دون أن تدري؛ فنهرها بشدة بكلاكس السيارة، فحتى كلاكس السيارة ممكن أن يكون ناهرًا أو ودودًا.

لم تجد أن الأمر يحتاج إلى هذا التنبيه المزعج؛ فنظرت إلى صاحب السيارة بحدة ... حتى العينين من الممكن أن تكون ناهرة أو محبة أو مستهينة أو مهتمة أو لا شيء.

إن الإبداع في خلق الإنسان هو الروح التي تبرمج مشاعر الإنسان فتجعل من شيء معنوي شيئًا حسيًّا ... والأغرب أن يستقبله الآخر كما يريد صاحبه.

على كلٍّ فقد نظرت إلى زاجرها بعنف .. وكانت المفاجأة التي ألجمتها ... إنه الدكتور حازم، نظرت إليه برهة إلا أنه كان غاضبًا فلم يلقِ إليها بأي تحية وكذلك فعلت .. ثم مضى كل في طريقه.

تعالت ضربات قلبها وأصابها الذهول لبرهة؛ أنحن فعلًا نجلب الأشياء التي نريدها؟ أم أنها المصادفة والمصادفة فقط لا أكثر؟ أم أنها أقدار الله؟ .. ولكن ماذا ستفضي إليه هذه الأقدار ... هذا ما يعلمه الله وحده.

ذهبت إلى البيت وأحست باختناق غريب بمجرد أن دخلته، لماذا يصيبها الاختناق كلما دخلته؟!

ارتمت على السرير وهي تشعر بالحنق من هذا الحازم الذي لم يكلف نفسه عناء أن يهز لها رأسه محييًا ... حاولت أن تنام إلا أنها تشعر بغضب شديد يوقظها كلما أسدلت أجفانها ... ولكن لماذا الآن يباغتها الغضب؟ فهي عندما رأته لم تشعر بكل هذا الغضب.

أيكون الشارع بصخبه مواسيًا لنا ولاهيا لنا عن أحزاننا؟ ... ربما الأنس بالآخرين يجعلنا نتغاضى عن بعض من مشاعرنا الداخلية ... أم أن البيت يثير بداخلها مشاعر سلبية ويذكرها بذكريات ترغب في نسيانها فيزيد من هذه المشاعر .

تفكيرها لا يفضى دائمًا إلى شيء لا أكثر من أن يرهقها.

أغمضت عينيها ثم راحت في ثبات عميق إلا أن أفكارها لا تنام.

في أحلامها رأت"حازم"مرة أخرى ... ولكنه كان أقرب ما يكون إلى الفرسان؛ فهو يلبس لبس المحاربين القدامى ويمسك بلجام فرس في يديه ... باسم الثغر، جميل

الوجه، يشع بهجة وسعادة. أما هي فآية في الجمال والرقة والعذوبة ... أسطورة من أساطير العرب القديمة ... كانت في حلمها تشعر بحب جارف ومشاعر دافئة لحازم.

إن تقاسيم وجه الإنسان تتغير تمامًا من السعادة والحزن ... وكذلك يفعل الحب فالحب طاقة ساحرة تدعونا للحياة باستمتاع ... هو سر من أسرار الحياة.

مد يده إليها فتشبثت بها بقوة وازدادت ابتسامتها اتساعًا يسع الأرض ومن عليها ... ونظرت في عينيه بدلال وجرأة معًا .... وراحا يتراقصان في جو من الأمان والود غير المنتهي ... وفجأة سمعت صوتًا عاليًا شق اللحظة الحالمة وأيقظها من حلمها مرة أخرى ... إنه صوت المنبه المزعج كالعادة الذي يحرمها من عيني حازم في كل مرة.

قامت غاضبة فزعة من النوم وضربت على المنبه ضربة أسقطته أرضًا عقابًا له على حرمانها من هذه اللحظات الحالمة السعيدة.

تنهدت وأخذت تتذكر حلمها وكيف كان حازم جميلًا براقًا رأته بوجه أجمل من كل المرات التي رأته فيها.

راق لها هذا الحُلم ولكنها أخذت تفكر لماذا يأتيها في الأحلام؟ أهو الذي يباغتها أم هي التي تأتي به؟ وما الذي أثير بداخلها عندما سمعت بالحادثة التي ألمت به؟

غريبة هي النفس البشرية أعندما عز اللقاء في الحقيقة أعطاه الله لها في الحلم، أتكون الأحلام عطاء وعقابًا من عند الله؟ ... ولمَ لا؟، أليست مشاعر وأحاسيس نشعر بها وتتسبب في إسعادنا وحزننا؟

لماذا لا نعد أحلامنا السعيدة من نعم الله علينا؟!

نعم إن الإنسان لربه لكنود ... ألم يقل الله وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها؟، مهما عددنا نعم الله علينا لن نحصى الكثير من الأشياء التي لا نحتسبها من النعم.

كيف يكون في وفاة والديها نعمة؟ ... كيف يكون بقاؤها وحيدة في منزلها نعمة؟ ... ولكن إذا كانت نقمة فلماذا ينتقم منها الرب؟ ما الذنب الذي أجرمته دونًا عن باقي الأطفال حتى تحرم من والديها؟

إن الرب الكريم لا ينتقم أبدًا من عبادة؛ إنه يختبرهم فقط ... ولكن ما هي المكافأة التي سيمنحهما إياها؟ .. أيكون الزوج الصالح والابن؟ ولكن هذه المكافأة قد حظيت بها الكثيرات دونما اختبار حتى المومس تتزوج وتنجب.

أيكون عقابًا لها ولكن أي جرم ارتكبته؟ ... فكثيرٌ منا لم يصلِّ في صغره، ولم يصم، أو صام وارتشف القليل من الماء دونما علم من أهله ... أتكون وحدها هي الجانية؟ .. بالتأكيد لا ... لا شك أن الله وحده هو الذي يعلم ... كثيرٌ ما يتردد بداخلها: "ليتني أعلم الغيب".

أفاقت من تفكيرها وهي تطرد الشاي الساخن من فمها فقد ارتشفت منه دون أن تدري، تذكرت الآن فقط أنها رأته بالأمس ونظر إليها دونما أدنى ترحيب ... فهي لم تأتِ على باله على الإطلاق ... ولم يكترث برؤيته إياها.

شعرت بالغضب والحزن في آن واحد؛ أيكون أول من تشعر تجاهه بالاهتمام لا يبادلها نفس الاهتمام؟!

طردت الفكرة بِالكُلية من رأسها وأخذت قرارا مع نفسها بألا تذكره بعد اليوم حتى في أحلامها ... شعرت بالصداع ينتابها من جديد؛ فأخذت قرص المسكن المعتاد ... ثم هرعت إلى سجادتها المعطرة التي تتنسم منها رائحة الجنة وسجدت في دعاء طويل.

ثم ذهبت إلى عملها مسرعة وها هو عم كمال يلقي عليها تحية الصباح وعلى الرغم من غضبها اليوم إلا أنها تبدو جميلة ومشرقة، حتى عم كمال عندما تكون مشرقة ومتأنقة لا يستطيع أن يمنع نفسه من أن يختلق أي حوار لينظر إليها بعض الوقت.

لا يستطيع أي رجل أن يقاوم امرأة جميلة القد والوجه إلا للحظات ثم سرعان ما يلتفت إليها كالطفل الصغير عندما يروق له شيءٌ، إن الرجال أطفال في حقيقة الأمر. إنهم أطفال ولكنهم ذوو شوارب.

قد تستغنى المرأة عن الرجل وتحيا بدونه ... إلا أن الرجل لا يستطيع الحياة بدون المرأة ... فهو الجنين الذي احتضنته في رحمها والرضيع الذي احتضنته في صدرها والصغير الذي احتضنته بنظراتها ... هي الحصن الذي يجري إليه في كل زمان ومكان مهما كبر ... هي الأمان والحنان والرحمة.

إن أمهاتنا وجوههن جميلة كقلوبهن ... نحتاجهن في كل مكان وزمان ... ولكنّ الرجل أكثر احتياجًا من المرأة .. فيظل الرجل يبحث عن أمه في كل النساء .. ولا يستطيع أن يحيا بدونها ... فيظل كالمركب الهائم يريد أن يرسو ويسكن ولكنه لا يستطيع.

دخلت مكتبها وفتحت الملف الذي أمامها وهاجمها التفكير في أمر هذا الدكتور مرة أخرى وخطر على بالها شيء ... ربما نسيها ولا يتذكرها فهو لديه الكثير من المشاغل كما أنهما لم يتقابلا سوى مرات قليلة ... وهو بالفعل يتقابل مع مرضى كثيرين ... فربما نسيها ولكن هي الأخرى تقابل الكثيرين فلماذا لم تنسَه؟

نهرت نفسها بشدة فلقد عاهدت نفسها بألا تفكر فيه مرة أخرى ... ودعت هذا الموضوع جانبًا وأخذت مرة أخرى على نفسها عهدًا .... وليته يكون الأخير في ألّا تفكر فيه وانكبت على الكمبيوتر وعلى أوراقها.

دخلت إيناس وإيمان وسارة ورانسي يثرثرن حولها كعادتها ثم أخذن يتقاذفن إحدى قطع الشيكولاتة لعل إحداهن تفوز بها ... ويتنقلن من الحديث عن الماكياج إلى الشنط إلى زواج الفنانين والفنانات.

وفى وسط هذا الهرج والضحكات والأصوات الصاخبة ... سمعن طرقات منتظمة على الباب فالتفتن جميعًا ناحية الباب، ونظرت نسرين في اتجاه الباب الذي حالت بينه وبينها إيناس ذات القامة الضخمة فهي تحول بينها وبين رؤية أي شيء.

دخل عليهن رجل لا يعرفنه يبدو أنه عميل جديد ... فأحست نسرين بالضيق ورشحت له رانسي للعمل معه لأنها تريد إنهاء بعض الأوراق ... ثم نزلت إلى مكتب المهندس سمير في الدور الأرضي لتنهي معه الملف الخاص بأحد العملاء وسرعان ما فرغا من العمل.

اتجهت مرة أخرى صاعدة إلى مكتبها إلا أنها أحست بدوار شديد على السلم وكادت الأرض أن تميد بها وقبل أن تسقط أمسكتها يد بقوة وتشبثت بها نسرين ... حاولت أن ترى من أمسك بيدها إلا أنها لم تستطع أن تفتح عينيها بالكامل فرأت وجه الدكتور حازم يعلوه ضباب أبيض .. ولم تستطع أن تدرك أهذه حقيقة أم حلم .. ثم راحت في غياب تام عن الوعي.

أكانت رؤيتها له حقيقة هذه المرة أم حُلمًا؟ ...

التف زملاؤها حولها وقاموا بنقلها إلى المكتب ووضعوها على الكنبة .. وأخذ الدكتور حازم يعمل على إفاقتها ... وقامت رانسي بأخذ زجاجة العطر الخاصة بنسرين من شنطتها وأعطته إياها.

تنبهت نسرين أخيرًا متأوهة لتجده جالسًا بجوارها على الكنبة؛ فأمسكت يده بيدها رغمًا عنها وتشبثت أصابعها بأصابعه وأخذ يمسح على رأسها برقة دونما وعي منه .. كانت يدها ترتعش داخل يده الواثقة، وأحست بقوة أنامله وهي تحتضن أناملها المرتعشة ... فاحتوت الأنامل الواثقة الأنامل المرتشعة ... ونظرت إلى عينيه بقوة وتمنت ألا تفيق أبدًا ... إلى أن تنبها إلى أن حولهما الكثير من الزملاء.

شعرت نسرين بشعور لا تستطيع أن تصفه عندما أمسك بيدها .. شعور لم تشعره من قبل ولم تتصور أنه موجود ... شعور بالأمان، شعور بالحنان.

استعادت نسرين وعيها بالكامل .... وها هو جالس أمامها مبتسمًا .... أيكون حلمًا أم حقيقة؟ .... لا خلاف في أنه بدا عليها الدهشة التي لم تستطع إخفاءها.

بادرها قائلًا: ازيك يا بشمهندسة؟

ردت عليه قائلة: الحمد لله.

أخذ الجميع يرددون الواحد تلو الآخر: حمدا لله على السلامة يا بشمهندسة.

احتضنتها رانسي بشدة وقد اغرورقت عيناها بالدموع .... ومحمود أيضًا كادت عيناه أن تكون مثلها أحست بنبل مشاعره تجاهها وخوفه عليها.

إن العيون مغاريف القلوب ... وهي تعلم معزتها وقدرها عند محمود.

قامت إلى مكتبها وعينا حازم تتبعها .... إلّا أن الجميع نصحها بالانصراف ومنهم الدكتور حازم .... فردت عليه قائلة: بس حضرتك لك شغل.

فأشار إليها بحزم بالنفي قائلًا: لازم تروحي دلوقتي.

قالت رانسي: سأذهب معك إلى البيت.

ثم انصرف واعدًا إياها أن يأتي غدًا.

ذهبت معها رانسي إلى المنزل ... وأخبرت أخاها أحمد الذي جاء مسرعًا إليها ... وبقيا معها طيلة اليوم وتناولوا الغداء معًا ثم انصرفوا قرب الثامنة مساءً.

ألقت بنفسها في الفراش مسترجعة كل ما حدث لها اليوم ومرجحة أسبابه إلا أنها لم تأكل جيدًا بالأمس ... رن جرس التليفون في تمام الساعة التاسعة ... إنه أخوها إلا أنها كانت في ثبات عميق.

في اليوم التالي استيقظت من تلقاء نفسها فقد نامت طوال الليل نومًا عميقًا دون أن تشعر بأي شيء؛ لقد كانت منهكة تمامًا.

نظرت إلى المنبه فوجدت الساعة تمام السادسة ففزعت ... أتكون نامت كل ذلك الوقت ... أحست بالحزن العميق فإن أحدًا لا يدري بها أنامت كثيرًا أم قليلًا؟ ... تنهدت بعمق ثم سرعان ما تذكرت يومها بالأمس وتذكرت الدكتور "حازم" وماذا فعل معها؛ فتبسمت وشعرت بالسعادة وتعجبت من رد فعله، قبل أمس حينما رآها ولم يفعل شيئًا، ثم جاء في اليوم التالي إليها .. ما الذي أتى به؟ هل هو من الأشخاص الذين لا يمتلكون رد فعل سريع؟

تعجبت أيضًا من أحلامها ... وأن ما تراه في الحلم يحدث بعد قليل في أرض الواقع ... ما سر حازم معها؟ أهو الذي يباغتها في أحلامها في كل مرة؟ أم هي التي تذهب إليه؟ تذكرت يده المتشبثة بها في الحلم وفي الحقيقة إنها تشعر تجاهه بمشاعر ولكن لا تستطيع وصفها .. أيكون كل ما يحدث من باب الصدفة المحضة؟ ولكنها شعرت من يده التي أمسكت بها بمشاعر معينة أراد أن يخبرها بها، أتكون واهمة؟ .. لا لا أعتقد. فتحت المدونة الخاصة بها وكتبت: إن اليد التي صافحتنا بقوة إنما صافحت قلوبنا قبل أن تصافح أيدينا ... إن الأنامل المرتشعة في أحضان الأنامل الواثقة لم تكن لتضل الطريق .. وإلّا فكيف يعشق الكفيف ويُتيَّم من به صمم أو بَكم؟ ... إن هناك عالما آخر لم نسمح لأحد أن يأخذنا إليه من قبل ... فأبى القدر إلا أن يكون.

أصبحت شبه متأكدة من إعجابها بدكتور حازم وأنه هو الآخر يبادلها نفس الإحساس .. إن الكفين أفصحا لبعضهما بذلك.

قامت بتناول إفطارها وهى تشعر بدوار خفيف ... فهي لا تريد أن يتكرر ما حدث بالأمس مرة أخرى ... وارتدت ملابسها ثم توجهت إلى عملها ما بين الشعور بالسعادة -كلما تذكرت تشبث أصابعهما ببعض- وبين الشعور بالحزن لعدم وجود أحد معها ستوقفها طول نومها أو عدمه.

وصلت إلى الشركة فالتف حولها الزملاء عند الأستاذ مسعد آخذين في السؤال عنها والاطمئنان عليها ثم انفض كل إلى مكتبه كعادة الناس والحياة.

أخذت رانسي بيدها وعاتبتها لعدم الرد عليها مساءً للاطمئنان عليها إلّا أنها أخبرتها أنها نامت بمجرد نزولها هي وأخيها.

دخلت مكتبها وفتحت الكمبيوتر وأخذت تعمل عليه منهمكة .. وما بين الحين والآخر تهندم ملابسها وتنظر في مرآتها، وكلما دخل عليها أحد أو قام بالنقر على بابها هبت ناظرة إلى الباب متوقعة أن يكون"حازم"... إلّا إنه لم يكن أحدهم حازم... في كل مرة كانت تشعر بالحزن وخيبة الأمل وتواسي نفسها بأنه لا بد أن يأتي في الأيام القادمة .. وإلّا فلماذا أتى؟! .. يبدو أن هناك مشكلة في البرامج لديه ... إذن حتمًا سوف يأتي.

في الساعة الأخيرة من يومها وهي جالسة على الكمبيوتر دق أحدهم على الباب فوجدته أمامها ... تبسمت دونما إرادة منها وبادلها هو الآخر ابتسامتها بابتسامة أكثر اتساعًا.

بادرها بالسؤال: أخبارك أيه يا بشمهندسة اليوم؟ .... وأخبار صحتك؟

قالت له: الحمد لله ... يبدو أني كنت مجهدة في العمل الفترة السابقة ولم آكل جيدًا فحدث ما حدث.

رد عليها قائلًا: خلي بالك من صحتك ولازم ماما تخلى بالها منك.

بادرته قائلة: إن أمي وأبي متوفيان منذ صغري.

شعرت بالحزن والحرج في عينيه ... إلّا أنه بادرها قائلًا: ومعكِ إخوتك؟

فقالت له: لي أخ واحد فقط متزوج.

فقال لها بإشفاق: أتعيشين وحدك؟

قالت له: نعم.

وجدت الفرصة سانحة لتسأله: وأنت مع من تجلس؟

قال لها: مع إخوتي، بنتان فقط فأبي وأمي متوفيان أيضًا.

نظرت إليه وهي محاولة أن تسيطر على نفسها قائلة: حضرتك غير متزوج؟

رد عليها بضحك: لأ، حضرتي غير متزوج.

شعرت بالسعادة وصمتت وضغطت على أسنانها بقوة لتداري مشاعرها.

بادرها بالكلام عن المستشفى والمهام العتيقة الملقاة عليه ... وأن هناك مشاكل في النظام أو السيستم الخاص بالمستشفى وأنه يريدها أن تشرفه في المستشفى لمتابعة النظام ... وقال لها: سوف أجرى لكِ بعض التحاليل لأطمئن على صحتك.

ابتسمت وبدت عليها السعادة واضحة على معالم وجهها الذي التقطها حازم هو الآخر وابتسم حتى بدت أسنانه وأضراسه كلها.

أخذت تضغط على شفتيها في محاولة للسيطرة على نفسها ... فقد أحست أنها ضَعفت أكثر مما ينبغي.

مسكينة نسرين إن محاولاتها الدائمة للسيطرة على مشاعرها ما هي إلا ترجمة لتربية مكبوتة لم يسمح لها بأن تعبر عن مشاعرها.

قد يكون الاستهزاء والسخرية التي يلاقيها الطفل عندما يتحدث ويتصرف بعفوية فيعنف على أفعاله وحركاته ... فمن ثم يراجع كلماته مئات المرات قبل أن ينطق بها ويبدأ في الانغلاق خاصة إذا لاقى ذلك نفس حساسة غير مستشعرة بالأمان.

فقد اعتادت نسرين السيطرة على مشاعرها حتى في أعماق ذاتها فلم تسمح بأي تصرف غير محسوب أن يعبر عن نفسه.

مسكينة نسرين ضحية تربية خاطئة يقع فيها الكثير من الآباء والأمهات فعندما نكون على عفويتنا نكون أجمل .... وعندما تكون هي على عفويتها تكون أروع.

لم يخبرها أحد أن الابتسام ليس جرمًا ... ومن يهديها ملاحظاته وخبراته ... إن الأب والأم فقط من يهديان الخبرات والملاحظات فكيف بمن ليس له أحد يكترث به.

ولكن أقول إنه الأفضل لأن الله سيتولى أمره كليًّا، ولكن لا خلاف أن في ذلك امتحانًا قويًّا له.

انصرف دكتور حازم وهي في غاية السعادة... وهو يرى ذلك في عينيها فالسعادة تفضحها العيون فلا يمكن إخفاؤها كرائحة التبغ والعطر والدخان.

ذهبت نسرين في اليوم التالي إلى المستشفى ولا تعلم لماذا كانت متأنقة في هذا اليوم أكثر من كل يوم؟ ولا تعرف لماذا استيقظت اليوم بمنتهى النشاط وقفزت من السرير في سرعة البرق، إن ما بداخلنا من مشاعر هو سر من أسرار الحياة لا تبوح به لأي شخص.

أخذت تقود سيارتها في حماس وسعادة وأحست أن الدنيا كلها سعيدة معها فكل سائقي السيارات في منتهى الذوق والرقي، والطريق في منتهى السلاسة.

عجبًا لأمر هذه الدنيا أنحن الذي نطفي عليها السعادة؟ أم هي التي ترغمنا على السعادة؟ أعندما نكون سعداء فإننا نجلب السعادة والعكس بالعكس؟! ففي كثير

من الأيام يكون الطريق في منتهى الصعوبة، والسائقون بل السائقات في منتهى الوقاحة.

أنحن الذي نستوعب المتاعب طبقًا لطاقتنا النفسية أم هي أقدار الله في كل شيء؟

أفاقت من تفكيرها وهي في جراج المستشفى، كان من الممكن أن تذهب إلى عملها أولًا ثم تسجل خروج زيارة كما تفعل دائمًا ولكنها أبلغت أستاذ كمال في التليفون صباحًا أنها ستذهب إلى المستشفى أولًا.

إنها متلهفة للذهاب إليه، ما الذي يدفعها بشدة إلى هذا لا تعلم، كيف نتصرف بل لماذا نتصرف هكذا ؟

ركنت سيارتها ونزلت منها فوجدت من يقول لها ضاحكًا: أهلًا وسهلًا، أنا دخلت وراكِ علشان كنتِ هتخبطيني في الشارع وأنتِ غارقة في السرحان وكدت أن تعصفي بالجانب الأيمن للسيارة وعايز حق الخضة يا بشمهندسة.

ضحكت من قلبها نسرين وضحكت على طبيعتها بدون جمود أو تكلف أو محاولة عدم الضحك كعادتها.

جميلة نسرين عندما لا ترتدي ماسك الوقار، إن ماسك الوقار الذي ترتديه ما هو إلا حصار نفسي للمسؤولية التي تحملتها منذ نعومة أظفارها.

إن أقدارنا هي من ترسم لنا حياتنا وطريقنا بل وطريقتنا في الحياة.

نظر بعمق في عينيها وأخبرتها عيناه أنها جميلة بل فاتنة. شعرت بسعادة لا توصف، وما الغريب في ذلك وما الذي جعلها منتشية إلى هذا الحد فقد اعتادت أن تخبرها العيون بذلك ... لماذا تأثرت عندما سمعت بالحادثة التي ألمت به؟ ... لماذا بحثها عنه أسفر عن مجيئه إليها في اليوم التالي إلى مكتبها؟؟ ... لماذا يأتيها في الأحلام؟

أنحن مسيرون في هذه الحياة أم مخيرون؟ ... لاحظت أنه الآخر مشرق وجميل وطويل وعريض المنكبين يبدو أجمل من كل مرة قابلته فيها سواء في المكتب أو المستشفى.

مشيا معًا إلى داخل المستشفى ... لم يكن مكترثًا بأحد إلا بها ولم يكن يمشي ثابتًا أبدا ... كان يتلفت وينظر إليها في كل لحظة، لم تستطع أن تنظر إليه بعينيها فهو يحاصرها بلا أدنى هوادة.

جميلان هما الاثنان معًا وطويلان. صعدت معه إلى المكتب وفي طريقهما قابلا الكثير وفي كل من قابلت كان انطباعها الدائم أنه يلاقي احترامًا من نوع خاص ... ربما لأنه صاحب المستشفى ... ولكنه في نفس الوقت يلاقي نفس القدر من المحبة.

من الواضح أنه ذكي في التعامل؛ فنادرٌ ما تجد مديرًا لأي مكان ينجح في الاثنين معًا، فإما أن يكون ديكتاتوريا يخشاه الناس ويهابونه لشدته وحزمه أو يحبونه وبالتالي يحدث درجة من التودد تكسر الحاجز بين الرئيس والمرؤوس.

ابتسمت في هذه اللحظة رغمًا عنها لأنها تأكدت من أنه شخص ذكي؛ والذكاء يبهر نسرين ... إن انطباعاتها الأولى عنه كانت سيئة تمامًا ولم تكن في صالحه ... يبدو أنها كانت مخطئة.

وهما في طريقهما إلى المكتب لمحت الغيرة في عيون الكثير من الفتيات بل والنساء.

خرجا من المصعد فقدمها عنه ثم فتح لها باب المكتب، يبدو واضحًا أنه يعاملها كأميرة ... هي تعلم جيدًا أن هذه المعاملة ليست المعاملة الرسمية في مجال العمل ... فلماذا يفعل ذلك؟

دخلا إلى المكتب وجلس إلى الكرسي المقابل لها ولم يجلس على مقعده، أحست بسعادة غامرة وزادتها السعادة جمالًا إلى جمالها.

ملامحنا تتغير كليًّا عندما نكون سعداء أو تعساء.

إن نظرة من رجل يمثل أو يعني لنا شيئًا قد تغير مزاج البعض من النساء إلى الأحسن، ولكن نظرات الانبهار في عينيه اليوم تثير أي امرأة وتجعلها تقبل على الحياة مرات ومرات.

أخذا يتناقشان في البرنامج ويسرد لها المشكلات التي قابلته فيه .... ثم دخلت السكرتيرة فوجدته جالسًا أمامها وليس على مقعده فنظرت إلى نسرين نظرة تعرفها

جيدًا .. إن هذه السكرتيرة تغار عليه ... تفهم نسرين الكثير والكثير من مشاعر بنات جنسها.

فدائمًا ما يحاط أي رجل متميزٍ - وخاصة إذا كانت إمكانياته المادية جيدة - بالكثير من المعجبات ... تذكرت تلك الدكتورة التي قابلاها في طريقهما إلى المصعد عندما ألقت عليه السلام وأخذت تتفحص نسرين بعيون تملؤها الغيظ والتطفل معا، وتلكأت في الكلام معه عن المستشفى بما لا يستدعي ... حتى هي الأخرى رأت في عينيها الغيرة.

وقد ازدادت سعادة حازم أمامها ونظر إليها نظرة تفهم مغزاها جيدًا ... إنه يريد أن يخبرها أن الكل معجب به بل متيم به.

طلب لها دون أن تنطق كأسًا من العصير وطلب لنفسه فنجانا من القهوة.

فقالت له: أريد قهوة.

فرد عليها بابتسامة: لأ عصير.

فنظرت إليها السكرتيرة مرة أخرى ولكن بعنف أكثر من ذي قبل ... إلّا أن نظرة السكرتيرة لها كانت بمثابة اللطمة على خديها التي أفاقت منها إلى الماضي السحيق.

إن نظرة العتاب في عينيها ذكرتها بعيون أمها المعاتبة دائمًا ... ونسرين شخصية حساسة بطبعها ... إن عيون السكرتيرة أطفأت كل شيء بداخلها، بل إنها تكاد تكون

تجمدت في مكانها وأخذت تسأل"حازم"بجدية عن كل شيء في البرنامج والنظام السابق والعيوب التي واجهها ... إن توهج العيون وما فيها قد انطفأ ومات فجأة.

قامت نسرين إلى الكمبيوتر وجلست دون استئذان وأخذت تدخل بعض الأوامر.

أحس هو الآخر بنفس الحزن الذي شعرت به نسرين ... يبدو أن بداخله هو الآخر حزنا دفينا وإلّا فلماذا لم يكسر حاجز الحزن بداخلها الذي هاجمها فجأة وجعلها تتعامل مرة أخرى بشكل رسمي ... على كلٍّ استسلم كل واحد منهما لأحزانه.

دخلت عليهم العاملة بالعصير والقهوة ولم تنظر نسرين إليها بتاتًا.

جلست معه ما يقارب الساعتين وبين الحين والآخر تدخل عليهما السكرتيرة، ونسرين تتعمد ألا تنظر تجاهها مطلقًا ثم انتهت من جزئية معينة من العمل فقامت مستأذنة بالذهاب، فقال لها: سأجرى لكِ بعض التحاليل، إلا أنها أشاحت بوجهها ورفضت بحدة، فلم يستطع أن يتكلم.

بادر للنزول معها ولكنها قالت في حدة ورسمية مرة أخرى: متشكرة يا دكتور، ماتتعبش نفسك.

والتقطها هو الآخر وفهم أنها لهجة تعني لن أنزل معك ... ولم يفعل أكثر من ذلك بل تسمر في مكانه، فتحت باب المكتب والتقت أعينها بعين السكرتيرة ونظرت إليها نسرين بِكُره، نعم بِكُره. آلمه ما حدث ولم يعرف له تفسيرا.

غادرت نسرين المستشفى وهي حزينة وركبت سيارتها بنفس الحزن والشرود والسرحان ... وفي طريقها إلى الشركة أخذت تسرح في لا شيء .... فتارة تنظر إلى كل مَن يمرون مِن حولها بتمعن ولا تدري كيف كانت تقف السيارة أو تتحرك، إنها غارقة في تخيلاتها، نظرت إلى الجانب الأيمن من الطريق فوجدت رجلا يمشي بعكاز وسرحت معه كيف تكون حياته؟ كيف يعاني في دخول الحمام؟ وكم يتمنى ويحلم بأن تكون رجلاه متساويتين في الطول ليكون إنسانًا عاديًّا.

لماذا جعله الله كذلك؟ أهو كذلك لأن الله يحبه دوننا أو أكثر منا على الأقل؟ أم هو كذلك لأن الله يعاقبه؟ أسعيد أم تعيس أم راضٍ أم مضطجر؟ أيبكي كل ليلة على وسادته أم لا؟ أصابها التفكير الإلحاحي رغمًا عنها بالصداع.

ما الذي جعلها تذهب إلى الحزن في عز الفرح إن فتاة مثلها يعجب بها الكثيرون بل هذا الدكتور الوسيم الذي قد يكون حلما للكثيرات معجب بها دون غيرها .... إن معاملته لها هذا اليوم في منتهى الرقة والعذوبة معاملة تذهب بها إلى عصر الفرسان، أبعد كل هذا تقابل هذه المشاعر بكل هذه الأحزان، نحن عندما ننجذب إلى الحزن أو الفرح فإننا نكون مدفوعين بما في عقلنا الباطن.

لماذا أفزعتها نظرة السكرتيرة بدلًا من أن تزيدها سعادة فهو فضلها على الكثيرات؟ لماذا عصفت بها هذه النظرة وألقت بها مرة أخرى إلى عالمها الحزين؟ ما الذي حدث حتى ينقلب يومها هكذا؟

إن نظرات اللوم والعتاب تفزعها وتجعلها تراجع تصرفاتها مرارًا وتكرارًا.

أشعرتها السكرتيرة اللعينة بأنها تهاونت مع حازم أكثر مما ينبغي، هاجمتها عيونها قائلة: أنتِ مخطئة أنتِ غير محترمة.

لو تعلم نسرين أن ما في عيني السكرتيرة ما هو إلا الوهم وعدم الثقة الذي تحمله نسرين بداخلها إنه عتاب أمها المستمر الذي يجعلها تشعر بأنها مخطئة دائمًا وأنها لا تستطيع إرضاءها.

لو تعلم نسرين أن ما بداخل السكرتيرة لم يكن سوى غيرة وحزن على حبيبها الذي تمنته ليالي طوالا ... وأنها أحست بأن نسرين لها مكان خاص عند حازم لأنها تعلم بأنه لا يتباسط مع أحد بهذا الشكل.

لو تعلم أنها ما تمنت شيئًا سوى أن تكون مكان نسرين، لو تعلم كل ذلك لأشفقت على السكرتيرة بدلًا من أن يصيبها الحنق عليها.

ليتها تعلم أن كل ما تراه هو عقلها الباطن فقط وليست الحقيقة، لو علمت كل ذلك لكانت من أسعد السعداء في يومها هذا. ومع ذلك إن نسرين ليست مدانة بل

هي ضحية ... نعم ضحية لوم أمها الدائم وانتقادها هي وأبيها لأنهما يريدان منها الكمال.

لا خلاف أنهما أحباها بكل ذرة في كيانهما وكذلك يفعل كل الأمهات والآباء إلا أنهما لم يعرفا كيف يوجهان ومتى يكون العقاب.

إن تقدير الإنسان لنفسه وذاته يبدأ من الطفولة ويكون مكتسب فقط من والديه، فإن أثنيا خيرًا أعتقد أنه كذلك بل أصبح عقله الباطن ينفذ ذلك الشيء الذي يسمعه منهم لا إراديًا طيلة حياته ... وإن أكثرا اللوم والعتاب على كل شيء صغيرًا كان أو كبيرًا أفقداه ثقته بنفسه وجعلاه دائمًا يعتقد أنه لا يحسن التصرف ولا يكاد يصيب.

ذهبت نسرين إلى عملها ومضت يومها كله في عصبية زائدة عن كل يوم ... لم تكن تتوقع أن يومًا مشرقًا هكذا في أوله مملوء بالسعادة والبهجة ينتهي بها إلى كل هذه الأحزان ... إنه بحر من الأحزان تغوص به.

يا ترى ما بداخل هذه النفس الرقيقة فعل بها كل ما فعل؟ لماذا رأت في نظرة السكرتيرة نظرة أمها رحمة الله عليها؟ أتكره أمها؟ ... أتكره أباها؟

عندما يهاجمها هذا السؤال تدخل في نوبة حادة من البكاء، لا شك أنها في صراع قد يمر به الكثير منا، صراع ما بين عقولنا وهو تقييم آبائنا وبين قلوبنا التي تنبض بحبهم.

قد تكون عقولنا قاسية في الحكم عليهم أو صائبة ولكن قلوبنا دائمًا معهم تذوب عشقًا فيهم .... إنها فطرتنا التي خلقنا الله عليها.

دخلت عليها رانسي المكتب ورأت الدموع في عينيها وسألتها: هل ضايقك هذا الدكتور؟، لأنها أخبرتها في الصباح إنها ذاهبة إليه، فأجابت بالنفي لا.

لم تقتنع رانسي وأخذت تلح عليها لتعرف سر الحزن الذي يكسو وجهها، إلا أنها لم تجد إجابة في كل مرة.

انتهت من العمل وذهبت إلى شقتها وأرغمت نفسها على النوم رغمًا عنها وبدون غداء فالنوم وحده هو القادر على تهدئتها من جديد فإن بداخلها بركانًا قد أوقظ.

استيقظت بعد ساعة ونصف فقط من نومها وقد عاد إليها سلامها النفسي.

نعم إن النوم نعمة ورحمة من الله سبحانه وتعالى ولمَ لا؟ ألم يقل في سورة آل عمران بعد ما أصاب الصحابة في غزوة أحد من غم وهم: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ

أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ۖ ﴾[٣].

فالنوم في كثير من الأحيان يكون هو العلاج الوحيد للهم والغم.

عاد إليها هدوؤها النفسي وتذكرت اليوم منذ بدايته وعاودها الإحساس بالسعادة والابتهاج ... ثم هرعت إلى الصلاة لتعيد ترتيبها من هناك.

تفكر نسرين بين الحين والآخر أن تذهب إلى طبيب نفسي فهي لا تعرف لماذا فجأة تشعر بالحزن وتشعر أنها مسجونة بداخل شيء ما، فليس هناك أي شيء حولها يدعوها إلى الحزن فهي جميلة يتمناها الكثير، فإن الجمال من أشد نعم الله علينا وعلى المرأة في الحياة وتتمناه الكثيرات.

هل جلستها وحيدة هي ما تشعرها بالضيق، ولكنها لا تجلس بمفردها كثيرًا كما أنها تعشق الحرية وهي تشعر بكامل حريتها. إن أكثر من ثلثي وقتها تقضيه في العمل، وكثيرٌ ما تأتيها رانسي بعد العمل بل إن أخاها دائمًا معها وأولاده وبعض أقاربها يزورونها بين الحين والآخر. أم أنها لا تفتقد الناس بل تفتقد إلى القدوة والحكمة؟ ...

---

[٣] آل عمران: ١٥٤

مهما كبرنا في الحياة نظل أطفالا صغارا نحتاج إلى من هم أكبر منا سنًّا ... لنشعر بالأمان والدفء والاطمئنان في أحضانهم .... لعل فقدانها أبويها في سن مبكرة هو ما أورثها هذا الحزن.

تذكرت إحدى المرات التي ذهبت فيها إلى الطبيب النفسي الذي لم يفيدها بأي شيء وخرجت من عنده تحمل ورقة مليئة بكل أصناف الأدوية وسرعان ما ألقت بها في البحر.

هي تعلم أنها لم تخبر طبيبها بكل شيء ولا سبب لوم أمها الدائم لها ... إنها كبرياؤها التي تنتصر دائمًا وتجعلها لا تستطيع البوح.

إن تقربها من الله لم يُذهب نوبات الحزن التي تهاجمها بين الحين والآخر، ربما كانت حكمة الله لنا أن نشعر بالحزن لكيلا نغتر بالدنيا، قد نعلم بعد حين أنها كانت نعمة من الله دون أن ندري.

ذهبت إليه نسرين في اليوم التالي إلى المستشفى بكامل أناقتها واستقبلها مرحبًا بها. إن عينيه تلتهمها في المرة مليون مرة ونظراته تفصح عن إعجاب وحب إلا أنه لا يقول شيئًا.

ذهبت في اليوم التالي والذي يليه وفي الكثير من الأيام إلى المستشفى ثم إلى عملها. يعاملها حازم بمنتهى الرقة والتلطف إلا أنه لا يتجرأ أكثر من ذلك ولا يقدم على شيء.

وعلى مدار أسبوعين تذهب إليه في المستشفى وتتوالى الأيام والشهور وكلاهما يعلم أن الأمر لا يتطلب كل ذلك ... لا يكف هو عن التعبير بشعوره وسعادته لمجيئها، ولم تتوقف هي في كل مرة عن تبرير سبب الحضور وأنها لحاجة العمل، فيجيبها مبتسمًا: أعلم.

في كل مرة يزداد إعجابها به بل انبهارها فهي مشدودة دومًا إلى كلامه ومحادثاته وضحكاته ونظرات الإعجاب القوية التي تخرج من عينيه.

عندما تتأخر عن ميعادها يقابلها بعصبية شديدة.... تخبرها عصبيته بأهميتها لديه وقد يبادرها في المكتب بلا أي سبب إلا أنهما دائمًا يتعللان بأسباب واهية ... ولا هو يقدم على شيء ولا هي أيضًا.

إنهما أصبحا مأثورين لرؤية كلٍّ منهما للآخر، أصبحت نسرين سعيدة إلى حد ما وتتمتع بهدوء نسبي مع قلة التخيلات التي تراودها .. تتذكر بين الحين والآخر نظرات حازم المشتعلة لها ونظرات الود والحنان التي تلاقيها من عينيه، والاحترام البالغ الذي تعامل به من قبله.

الاحترام الذي يجعلها تشعر معه بأهميتها وأنها كنز لا يستطيع أحد اقتناءه، ولا يقدره أحد سواه .. بعد كل مرة يتقابلا فيها وترى الانبهار في عينيه كثيرًا ما تضع يدها في حقيبتها لتخرج مرآتها الصغيرة وتنظر إلى وجهها لترى ما هذا الذي يسحره إلى هذه الدرجة؟ أنها تعلم أنها جميلة ولكن ليس إلى هذه الدرجة التي يشعرها إياها حازم.

إن إعجابه بها المبالغ فيه وحنانه ورقتها معها كانت بمثابة ألف يد ويد تمتد لتطبطب عليها وتشعرها بالأمان الذي تفتقده طيلة حياتها ... إن وجوده في حياتها يشعرها بالأمان أكثر من الحب.

ها هي تقف أمام مرآتها ليلًا سعيدة تنظر إلى وجهها في المرآة ... ولأول مرة تتساءل ما الذي يدفعها إلى الذهاب إلى المستشفى؟ ... إن هذا الأمر يجب أن ينتهي أو يقل على الأقل، ثم سرعان ما تبرر لنفسها أنه عملها وهو من أكبر عملائها في الوقت الراهن .. ثم تنظر إلى عينيها بنظرات لائمة أَكُل العملاء تفعلين معهم هكذا؟ ... فتقول نعم وهي تعلم أنه لا.

إذن لماذا كل هذا الاهتمام؟ أيكون حبًّا؟ .... ثم شردت مرة أخرى متسائلة هل أحبه؟ خبطت يدها بشدة على المنضدة .... ولحظها العسر كان هناك مسمار يطل برأسه منها فسال الدم من إصبعها الأكبر وهي تقول لا لا أنا لا أحب أحدًا.

نظرت إلى المرآة مرة أخرى فشعرت بالخوف حتى من نفسها وامتزجت عيناها في المرآة بعينيّ أمها حتى صرخت ... وأخذت تبكي وتبكي ثم تتوقف وتعود إلى البكاء مرة أخرى حتى أوجعها قلبها ... لقد شعرت أن أمها واقفة بالفعل خلفها ففزعت ولكنها استدارت بسرعة لتجد الغرفة خالية تمامًا.

همت بالاتصال برانسي لتأتي لتبيت معها ولكنها تذكرت أنها لا تحب أن يبيت معها أحد أبدًا. بل أنها لم تفعل هذا من قبل.

لماذا تفعل نسرين هكذا؟ أنها تعلم أنها تحبه ... نعم أنها تحبه ... بل تعلم أنه يبادلها نفس الحب ... لماذا لا تريد أن تعترف لنفسها بهذا؟ بل لماذا لا تريد أن تنتزع منه اعترافًا بذلك؟ ما النهاية التي تريدها؟ ... إن النهاية هي التي ترعبها ... أنها لا تريد أن تتزوجه ... نعم إنها لا تريد الزواج كليةً من أي شخص.

جلست على السرير وأمالت برأسها إلى الوراء وذهبت إلى هناك ... ذلك اليوم الذي كانت فيه صغيرة كل ما فيها صغير، قلبها وعقلها ومشاعرها، كانت تلعب مع أولاد أعمامها في بيت جدتها بسعادةٍ مطلقةٍ ... لقد كانت طفلةً سعيدةً.

ربما قدّر الله لنا قدرًا من السعادة يأخذه البعض في طفولته أو قد يأخذه بالتساوي على مدار حياته ... الله أعلم في تدبير الأمور.

تذكرت كيف صُدمت في صباح هذه الليلة من تعنيف أمها ... وتذكرت نظرات المحيطين بها حتى الصغار ونظرة أمها القاسية لها ... لماذا؟

عصفت بها هذه النظرة وأعادتها إلى بركان الدموع مرة أخرى ثم ما لبث هذا البركان أن همد وخمد ... وجاء النوم ليرحمها مما هي فيه ثم راحت في ثبات عميق.

أتحرسنا الملائكة حقًّا ونحن نائمون؟ إن النوم رحمة من الله تعالى فالخائف لا ينام والجائع لا ينام والمريض لا ينام ولكن الحزين ينام وهكذا تنام نسرين في كل ليلة.

توالت اللقاءات بينهما بعد ذلك في نطاق العمل ومن ثم توالت النظرات ... إن في عينيه شيئًا ما يخبرها دومًا بأنه عاشق متيم.

ما أجمل العشق في عيون وقلوب العاشقين.

يقول الكثير من الرجال كلام الحب ويصرحون به في كل زمان ومكان وكم تعرضت نسرين لكل ذلك ... وصَدَّقت عشق البعض منهم ... ومنهم من طلب منها الزواج ومع ذلك لم تشعر معهم بصدق عشقهم كما شعرت مع حازم .... تعلم بالفعل أنهم معجبون بها وإلَّا فلماذا يعرضون عليها الزواج؟ ولكنها لم تشعر مع أي منهم بما تشعره من إعجاب وولع حازم بها.

وعلى الرغم من أن"حازم"لم يصرح لها يومًا عن حبه أو رغبته في الارتباط بها إلّا أنها تراه عاشقًا وَلْهَانَ تخبرها نظراته دومًا بذلك.

تخبرها سعادته وسروره وفرحته عندما تلمس أصابعها أصابعه رغمًا عنها عندما يتبادلان الأوراق أو أي شيء فتشعر أن أناملها قد أصابها الخدر.

تخبرها نبرات الغضب في صوته عندما تتأخر عنه أو تعامله بلا اكتراث إذا ما هاجمتها نوبات الغضب والحزن.

تخبرها رغبته في الاقتراب منها عندما تقف أو تنهض من على الكرسي إلى الكمبيوتر فيهب واقفًا قريبًا منها والسعادة تطير من عينيه فتبرز لونهما العسلي الساحر.

تخبرها معاملته لكل من حولها من الفتيات اللاتي يتوددن إليه بلا اكتراث بأنه يحبها بل يعشقها. إن كل شيء فيه يخبرها بأنه يحبها؛ إن نظراته تلتهمها وتخبرها أنها أنثى إلَّا أن لسانه لا ينطق بشيء.

لماذا حتى الآن لم يقل لها هذا؟ وهل تنتظر هي منه ذلك ؟

تنهدت وهي تلقم قطعة البيتزا ... وماذا لو أخبرها برغبته في الارتباط بها نعم أيكون ماذا؟ ... لأول مرة تتساءل فيما بينها ماذا لو صارحها؟

أرجعت رأسها إلى الخلف على حافة السرير وأخذت تنظر إلى السماء من شباك غرفتها في انتظار الإجابة، إلّا أنها لم تجد أي مجيب.

إن نسرين لا تستطيع أن تفهم أغوار نفسها أو ماذا تريد، أتكون لا تحبه؟ .. نعم فالفتيات عندما يحببن ينتظرن كلمة الحب من حبيبهن، هي لم تنتظرها ولكنها استوقفها فقط عدم اعترافه بذلك.

إذن لماذا تذهب إليه في الكثير من الأيام؟ .. سرعان ما أجابت على نفسها بصوت عالٍ: إنه عملها وهي تعشق العمل.

إذن لماذا كل هذا التأنق؟

نظرت إلى المرآة قائلة: أنا دائمًا أنيقة، ولكنك هذه الأيام أكثر أناقة لا تضحكي على نفسك.

أنا لا أحبه ... قالتها بعصبية شديدة .... وطأطأت رأسها ونظرت إلى سريرها ودخلت في نوبة أخرى من البكاء .... وكعادتها استسلمت إلى النوم الذي يرمم أشلاءها من جديد ... ما قصة هذا السرير مع نسرين؟

في أحلامها رأت دكتورها العزيز كان يرتدي بدلة سوداء، أما هي فكانت جميلة في فستانها الأبيض كسندريلا .. جاءها ممدًا يده إليها ونظر بعمق في عينيها ثم رفعها ولف بها في حركات دائريةسريعة ... ولأول مرة تصرخ نسرين بأعلى صوتها سعيدة ومهللة وهو يدور بها بسرعة مع أنغام موسيقى حالمة .. فلا ترى أي شيء سوى عينيه فقط ... فتمتلئ بالسعادة وتشعر كأنها تمتلك الأرض ومن عليها.

إن المرأة إذا أحبت بصدق كان الحبيب لها وطنا وأهلا ... كان لها أبًا وأخًا وكل شيء على وجه الأرض.

انعدم الوجود من حولهما وغاصت أعين كل منهما في أعين الآخر فتوقف كل شيء حولهما سوى العناق ثم العناق ثم القبلات فإنهم لم يتوقفوا.

استيقظت نسرين فجأة على صوت ضحكاتها العالية، وأخوها بجوارها يقول لها: حلم مضحك إلى هذه الدرجة يا نسرين ... ما الذي أضحك هكذا؟

جميل هذا الوجه عندما لا يكون مسجونًا في أحزانه ....

تمنت لو أن أخاها لم يكن بجوارها في هذا الوقت لكانت استغرقت في أحلامها مرة أخرى، دائمًا اللحظات الجميلة لحظات قصيرة في حياتنا سرعان ما تذهب لذتها. أيدخرها الله لنا في الآخرة ويذيقنا بعضها في الدنيا لنطوق دائمًا إلى الآخرة حيث المنتهى والسعادة الأبدية؟ ... على كلٍّ لقد أخذت جرعة من السعادة تكفيها الآن.

سألها أخوها غامزًا: ما الجديد يا نسرين.

قالت له: أي جديد؟ لا يوجد دائمًا عندي جديد.

نظر إليها أخوها بخبث ودهاء: يبدو أن العيون تفضح ما بداخلنا.

جلست في فراشها سعيدة جدًّا وشردت بتفكيرها ... لماذا لا تحبه؟ .... إن حبه لها يشجعها على الإفصاح له بكل شيء ... ولكنها لا تريد أن ترى في عينيه الشفقة ... إنها

لا تريد لنظرات الانبهار أن تموت أو تتبدل ... تنهدت بعمق وحسرة .. وتساءلت هل حازم يرى في عينيها نفس التي تراه في عينيه ونفس الذي رآه أخوها في عينيها فجعله يتغامز عليها بأنه لا بد أن هناك جديدًا أو حبا بمعنى أصح في حياتها.

أشاحت بوجهها قائلة لا: أنا دائمًا أستطيع أن أسيطر على مشاعري، ضايقها هذا التصور وأردفت في هذا التفكير ... إذا كان حازم يعلم تقبلها له مع إعجابه بها ... إذن لماذا لا يصارحها بعد كل هذا الوقت؟ إنهما معًا اليوم قرابة السنتين ... تذهب إليه تقريبًا مرة كل أسبوع أو يأتيها .. إنها مدة كبيرة نسبيًّا وليس هو بالصغير في السن ولا هي أيضًا.

تقابلا بعدها مرتين أو ثلاثة وكانت عيون نسرين تخبره أنها تنتظر منه خطوة إلا أنها أحست أنه يبتعد.

استطرقت في التفكير هل يكون حازم من الرجال الذين يتسلون بالعلاقات ويعشقون تعلق الفتيات بهم؟ ... ولكنه لم يتجاوز حدوده معها على الإطلاق ولم يحاول أن يحادثها هاتفيًّا بسبب أوبدون سبب ... أم هي التي لم تسمح له بذلك؟ .... فالرجل عادة يعرف حدود كل فتاة في التعامل وهل يمكن أن يتجرأ معها أم لا .. أرهقها التفكير كعادتها ولم تخلص إلى شيء.

قررت ألَّا تذهب إليه المرة القادمة ... بل قررت أن تغير خطة العمل وتسندها إلى إيناس ... رجعت نسرين إلى حصارها النفسي من جديد.

يبدو أن الأيام تعلم الإنسان كيف يقسو حتى على نفسه.

فكما يولد الإنسان في منتهى الضعف لا تحمله رجلاه ومع الأيام يزداد قساوة ويتصلب عظمه ويقوى يبدو أنه هكذا تفعل بنا الأيام دومًا فتزيدنا قسوة وتصلبا في المشاعر.

أرسلت إليه "إيناس" وأحست أن "إيناس" كانت تشعر بشيء لأنها بمجرد أن أخبرتها برغبتها في أن تذهب هي إلى حازم أحست بالسعادة تغمرها.

إنها إيناس الحقود دائمًا .... لقد خشيت وغارت من أن ترتبط نسرين به على الرغم من أنها متزوجة. تبًّا لإيناس، يومًا ما سيقتلها حقدها وحسدها وسيكون سياجا تلفه حول رقبتها.

إذن فإيناس تشعر بمشاعرهما تجاه بعضهما البعض... إذن لماذا لم يقدم حازم على فعل أي شيء؟ ... إن هذا السؤال يعصف بها إلى عالم الأحزان الذي لا تتركه إلا قليلًا.

استوقفها عدم مجيئه في الأيام التالية وعدم سؤاله عنها وعدم استغرابه أنها أرسلت إليه إيناس ... تمنت لو كانت تستطيع أن تسأل إيناس هل سألها حازم عنها

ولكنّ كبريائها وحقد إيناس يمنعاها .. وإيناس تتعمد عدم الوقوف معها ... إن إيناس إنسانة ملوثة شاءت هذا أم أبت.

سئمت نسرين من كل شيء ... العمل والزملاء والأصحاب واللبس والجمال حتى القراءة سئمت منها كذلك. كلما ذهبت إلى الشركة، وكلما رأت إيناس وهي تعلم أنها اليوم كانت عند حازم شعرت بالاختناق.

أصبحت نسرين في غاية العصبية في كل تعاملاتها في الشركة، في البيت مع أخيها، حتى البواب لم يسلم من عصبيتها.

أشارت إليها رانسي بالسفر لتغيير الجو ولتغيير هذه المشاعر السلبية والعصبية الزائدة التي تمر بها هذه الأيام وإن كانت لا تعرف سببها فهي لم تخبر رانسي بأي شيء.

قررت نسرين السفر إلى عمتها في القاهرة لتغير من حالتها النفسية.

وفي محطة القطار، أخذت تنظر إلى حركة القطارات يمنة ويسرة ... فهذا يجرى ليلحق بالقطار فلا يستطيع فيجر أذيال الخيبة منكسر القلب والخاطر منكسا رأسه في الأرض ... وترى من لحق بالقطار ورمى بنفسه في أحضان المقعد كأنه قد وصل إلى مبتغاه ... أكان شر لمن لم يلحق بالقطار أم كان هذا هو الخير؟ ... كيف

يكون خيرًا وقد تمنى أن يلحق القطار؟... تمنت نسرين لو أنها كانت تعلم الغيب والحكمة من هذه التصرفات والأفعال.

إن حركة القطارات تثير بداخلها الحزن والشفقة ... لماذا كل هذه الأحزان التي تشعر بها ما بين الحين والآخر؟... إن هذه الأحزان لا شك آثمة أنها لا تترفق مطلقًا بقلب نسرين منذ نعومة أظافرها ... أيتها الأحزان ترفقي إن قلب نسرين لم يعد يحتمل.

إن القطار يذكرها بمراحل الحياة ... محطات يخرج الناس منها من القطار كأنهم يولدون لتوّهِم ويرحل آخرون ثم يأتي قطار آخر ويخرج منه الناس سراعًا، وقطار تلو قطار وهكذا تمضي الحياة.

أيكون الخلاص قد اقترب .... أتكون أيامها أوشكت على الانتهاء فعندما يقترب خروج الجنين من بطن أمه إلى الدنيا يبدأ في التنصل من كل ما يربطه برحم أمه استعدادًا إلى الرحيل إلى الدنيا.

أيكون الموت قد اقترب فيقطع الله كل حنين وبهجة لنا في الدنيا لنولد إلى الآخرة؟

تخفي دموعها وراء نظارتها الشمسية فتدارى ما بها من جروح وأحزان ... تمنت نسرين كثيرًا لو تضع هذه النظارة الشمسية فوق أعينها ليل نهار فإنها أقوى في مُداراة الأحزان .... فالحزن يرتسم دائمًا في العينين ...

فالعينان هما المؤثران الأولان لانطباعاتنا عن أي شخصية وعن ما بها من فرح وحزن وخبث وطيبة ... كما أنهما يكشفان عن معدن الإنسان ... ويدرك ذلك جيدًا من كان من أصحاب الفراسة ... فالعيون هي مغاريف القلوب. ونسرين عيناها جميلتان كقلبها .. إن ما بداخلهما معركة تعترك في كل الأوقات ولا تهدأ إلا في وجود حازم.

قضت اليومين عند عمتها محاولة استعادة توازنها النفسي ... إلّا أنها لم تشعر بأي فارق فالبعد في المكان قد يورث بعدًا في القلب فعمتها لم تكن قريبة منها إلى الحد الذي تزول معه الحدود ويتبادلان معًا الحكايات .. ولا يعني ذلك أن نسرين لا تحبها.

لم تشعر بأي تحسن وغادرت بيت عمتها مودعة إياها بعد محاولات مضنية منها للجلوس يومين آخرين إلا أنها تعللت بحاجة العمل إليها وواعدة إياها بزيارة قريبة.

ذهبت إلى المحطة وكان المتبقي ساعة ونصفا على موعد القطار فذهبت إلى الكافتريا لتشرب فنجانًا من القهوة.

وبينما هي جالسة ترتشف بعضًا من فنجان القهوة وغارقة في تفكيرها الخصب الذي لا يتوقف أبدًا ... فإذا بإصبعين ينقران على أعلى كتفها من الخلف ... ارتبكت نسرين وارتعش فنجان القهوة في يدها وهي تستدير لتنظر من يكون صاحب هذه الأصابع.

نعم إنه حازم ... بادرها قائلًا وهو يخرج من جيبه منديلًا: أنا آسف، ومسح به على أصابعها المبتلة من القهوة دون أن تتكلم.

هزت رأسها وسحبت أصابعها من أصابعه وقالت له: بشمهندس حازم.

فقال لها: أيوه يا دكتورة نسرين.

وانطلقت الضحكات بينهما دون توقف .. دائمًا يغلبها بخفة ظله وحسن تصرفه فهي المهندسة وهو الدكتور ... ربما كانت الأقدار هي التي تتولى كل شيء.

سألته: لماذا أنت هنا؟

أجابها بأنه كان ينهي بعض الأوراق الخاصة بالمستشفى، ثم سألها نفس السؤال هي الأخرى .. وتحدثا كثيرًا ولكنها رغم ضحكاته معها وابتساماته الدائمة لها كانت تشعر أنه حزين أكثر من كل مرة كانت تشعر فيها بحزنه وأن هناك شيئًا ما يقلقه ...

كانت أحزانه اعتذارًا قويًّا لها لعدم سؤاله عنها الفترة السابقة .... أم تكون رغبة الحبيب دائمًا في مسامحة من يحب.

جلسا قرابة العشر دقائق صامتين دونما ملل ينظر كل منهما إلى الآخر ... ثم مد حازم يده مترددًا ممسكًا بيديها في حب وحنان لم تألفه نسرين من قبل .... تمنت لو أن العمر توقف عند هذه اللحظة وظلا ممسكين بيديهما معًا.

قطع النادل هذا الهيام والجرأة التي حدثت لأول مرة من حازم ... أخرج حازم من جيبه النقود وحاسب الجرسون ... تعشق نسرين تصرفاته تعشق كلتا يديه تحبهما عندما يمسك بالموبايل ليرد على أحد الزملاء أو المندوبين فيلبس تاج الوقار أو الغلاسة بمعنى أصح ... تحبه وهو يضعها في جيبه ويحاسب فتشعر معه برجولته واحتوائه ... أنها تحبه في كل الأحوال.

لم يسألها حازم عن عدم مجيئها الشركة ... ولكنها تغلبت على كبريائها وسألته: لماذا لم تسأل عني الفترة الماضية؟

قال لها أول ما قال: مَن هذه المهندسة التي أرسلتِها لي؟

قالت له: إيناس.

فقال لها: بذمتك أنا أستاهل كده؟

ضحكت نسرين من قلبها ... ثم أردف لها قائلًا: اتصلت بي بالأمس لتأتي لمتابعة الصيانة فأخبرتها أن الكمبيوتر قد احترق والمستشفى في طريقها إلى الحريق ... بذمتك ينفع تعاقبيني كده.

ألقت نسرين بيديها على وجهها من شدة الضحك وعلا صوت ضحكمها معًا ... لا تفتر عيناه أن تنظر إلى عينيها وهي ضاحكة ... إنه يحبها بل يعشقها.

لم يجبها حازم على سؤالها - " لماذا لم يسأل عنها الفترة الماضية" - ولم تعد هي السؤال عليه مرة أخرى.

جاء موعد قطار نسرين فحازم لم يكن ذاهبًا إلى الإسكندرية .. فذهبا إلى القطار معًا حاملًا لها حقيبتها .. إن الحنان يؤثر القلوب ونسرين في أشد الاحتياج إلى الحنان ثم ودّعا كل منهما الآخر بنظرات حانية وأخذ منها حازم وعدا بأن تأتي إلى الشركة بعد غد ... ووعدته بأنها ستأتي.

إن علاقتهما ببعض أصبحت عشقًا .... فإذا قلنا عن علاقتهما ببعض حبًّا فلقد قللنا كثيرًا من شأنها. فالحب شعور في صميم القلب له مراتب عديدة قد يكون أهونها الحب، فمنها الهوى والمودة والصبابة والغرام والهيام والشغاف والتتيُّم. والعشق هو الحب المفرط الذي يخاف على صاحبه منه فالعاشق يخشى على صاحبه من المرض لفرط حبه.

وصلت نسرين إلى منزلها وارتمت على سريرها وهي سعيدة ... سبحان من يغير حالنا بين طرفة عين وأخرى ... أليس ذلك قادرًا على أن يحيل أقدارنا إلى أحسن حال ... اعترفت لنفسها لأول مرة أنه يعنيها وجود حازم في حياتها وتأكدت من أنها لا تحبه بل تعشقه ... إن وجوده في حياتها يعطيها بهجة لا تستطيع العيش بدونها ... بل إن عدم وجوده يحرمها الحياة ... شردت مرة أخرى إلى أحزانها متسائلة ... ما نهاية هذه

العلاقة؟ ما سر الحزن الذي تشعر به بداخله؟ ليتها لم تعرفه ليته لم يكن في حياتها ... ليتها لم تلتقِ به في المحطة فتشتعل أشواقها مرة أخرى.

تقابلا بعد ذلك كثيرًا وفي كل مرة يتقابلا تخبرها عيناه أنه عاشق متيم ومغرم .... يسرقان من الدنيا لحظات لا يفكران فيها وهما معًا.

إن هذه اللحظات فقط التي لا تستطيع فيها أن تشرد بفكرها لتذهب إلى عالمها الحزين الذي يؤرقها. ولكن ما الفائدة من هذه العلاقة كلاهما يعلم أنهما يختلقان المواقف ليتقابلا، وكلاهما يعلم أن هذا العمل الذي بينهما لا يحتاج إلى كل هذه الزيارات. إنه يطلب منها أن تجيء ما بين الحين والآخر وهي لا تستطيع أن ترفض ويباغتها ما بين الحين والآخر في مكتبها فتكون سعادتها أكبر.

فكرت للحظة لماذا لا تخبر رانسي بمشاعرها وأحاسيسها وتشركها معها في التفكير فهي صاحبتها المقربة وفي منزلة أختها.

في المساء خرجت هي ورانسي وأخبرتها أثناء تنزهما على الكورنيش بموضوع دكتور حازم وتفاجأت بأن رانسي قالت لها: أعلم أن بينكما شيئًا وكنت أنتظر الوقت الذي تصارحيني فيه ... بل يكاد الجميع يعلم باهتمامه بك وترحيبك بذلك، ولقد لمح لي محمود مرارًا بهذا وفى كل مرة أثنيه عن هذه الفكرة.

لا تدرى نسرين أيكون أسعدها ما قالت رانسي أم أحزنها.

على كل أكدت لها رانسي أنها يجب أن تضع حدًّا لهذا .. فهم في هذه العلاقة ما يقرب من سنتين دون أن يأخذ قرارًا مناسبًا، ولكن نسرين أخبرتها أنها لا تريد الزواج منه أو من أي شخص آخر.

أتضحك على نفسها أم ماذا يكون؟ وإذا كان هكذا إذن فماذا تنتظر من حازم؟! أتريده فقط أن يلبي لها فروض الطاعة والولاء ويتقدم إليها لترفضه هي؟!

إنها لا تعرف ماذا تريد ... متخبطة نسرين ... أم أن هناك ما يمنعها؟ ... هناك سياج نفسي عميق يحاصرها لا يعلمه أحد.

مضى أكثر من خمسة أشهر بعد كلامها مع رانسي وبدون أي نتيجة إلا شعورها بالسعادة بالقرب منه .. كل مقابلتهما لا تتطرق إلى أي شيء سوى الإعجاب والانبهار.

اقترحت عليها رانسي أن تهاتفه ليلًا لعله يتشجع.

في المساء .. ولأول مرة ترن نسرين على هاتفه، إنها تعلم إن اليوم الخميس وأنه لا يذهب إلى المستشفى في المساء، رنت مرتين ثم لم تستطع أن تكمل وسرعان ما أغلقت الهاتف ... لماذا؟ لا تعلم، تمنت أن يتصل هو بها فيكون أكثر جرأة منها مع أنها تعلم أنه لا ينقصه الجرأة .... جلست تنتظر اتصاله إلى أن غلبها النوم.

في الصباح استيقظت من نومها، أول ما فعلت نظرت إلى هاتفها لعله يكون قد اتصل أو أرسل إليها رسالة ولكنه لم يفعل.

إن تصرفه هذا جعلها في غاية العصبية .. شريط من الذكريات السيئة يمر أمامها .. ولمَ لا؟ إن العقل الباطن يربط أي مشاعر سيئة بمثيلتها فتتراكم عليه الهموم.

بكت ثم بكت كما لم تبكِ من قبل. لماذا تفترض نسرين دائمًا السيئ؟ لماذا لم تفترض أنه لم يستيقظ حتى الآن؟ وإذا كان فلا بد أنه رأى رقم هاتفها في الأمس إذن لماذا لم يبادر بالاتصال حتى الآن؟ أيعلم ما تفكر به نسرين إنه شخص ذكي ونسرين لم تتصل به على الهاتف طوال السنتين الماضيتين ... عندما تركته نسرين في المرة الأولى وأرسلت له "إيناس" كان يعلم أنها تريده أن يتخذ موقفًا ... ولكنه لم يفعل.

جلست نسرين تنتظر مكالمته دون جدوى ... مضى ما يقرب من ثلاثة أسابيع دونما اتصال منه أو منها أو زيارة منها أو منه ماذا حدث؟!

إن كبرياءها يعذبها مئات المرات على اتصالها به، إنه يجلدها في اليوم آلاف المرات ... ولمَ كل هذا؟ ألا تكون نظراته وتلميحاته وسعيه وتوسلاته لها شفيعًا لها لكي لا تشعر بالانهزام على الأقل أمام كبريائها.

تخيلت أنه ربما يكون خطب، ولمَ لا؟ آلامها هذا الشعور، كانت كل هذه الأيام تمر عليها بعصبية زائدة يلحظها الجميع في تعاملها حتى أخوها ... وكانت تبرر لهم دائمًا أنها ضغوط العمل.

حزينة ومهمومة نسرين من تصرفات حازم غير المبررة ... أخذتها اللهفة والرغبة في رؤيته للذهاب إلى المستشفى ... جلست في سيارتها بقرب من باب دخول وخروج المستشفى لعلها تراه. جلست ما يقرب من الساعة دون أن يظهر، وعندما همت بالانصراف فجأة رأت "حازم" يخرج من باب المستشفي ذاهبًا إلي الجراج الخلفي للمستشفى... يبدو حزينًا ومهمومًا كما كانت انطباعاتها دائمًا عنه وبخاصة أول مرة قابلته .. بل يبدو مكسورًا ... أيكون متألمًا لعدم رؤيتها؟ إذا كان كذلك ما الذي يحول بينه وبينها؟ ما الذي يمنعه؟ هو يعلم أنها لن تصده.

سرعان ما اختفى خلف السيارات ثم سرعان ما رأته في سيارته يغادر الشارع بعيدًا عنها. إن ما رأته لم يكن ليعطيها أي انطباع عن حب أو علاقة جديدة.... إن حزنه كان ولا يزال شفيعًا له عندها.

تعلم أنه سيأتي مساءً، إنها تريد أن تنظر إلي يديه لتتأكد أيكون قد خطب غيرها أم لا ... ستمشى بسيارتها الآن وتأتي على الساعة السابعة، تعلم أنه يأتي مساءً في السابعة والنصف.

انطلقت بسيارتها إلا أنها استدارت مرة أخرى ورجعت حيث كانت ... في هذه المرة كانت على مقربة منه لترى يده اليمنى عند دخوله المستشفى.

جلست في سيارتها ما يقارب ثلاث ساعات ونصفا ونزلت من سيارتها واشترت بعض البسكويت وجلست تأكل في سيارتها في سعادة ... ما سر سعادتها أو راحتها النفسية الآن؟ هل لأنها بالقرب منه أم لأنها رأته غير سعيد أم لماذا؟

لا تعلم ولا يعلم عن أسرار النفس البشرية إلا من خلقها.

هاتفها أخوها، أدهشه عدم عودتها إلا أنها ولأول مرة تكذب عليه وتقول له بأنها تشتري بعض المشتريات الخاصة بها ... أحست بالألم لأنها لم تعتد الكذب من قبل.

وفي وسط تخيلاتها وشرودها وشططها في التفكير ... فجأة ظهر أمامها حازم ومر بجوارها على ما يقرب من مترين وهو بنفس التجهم والحزن وارتفعت نبضات قلبها حتى إنها أحست أن الكل يسمعها وأحست أنها لم تعد تسمع ضجيج الشارع .... لقد خشيت أن يراها إلا أنه لم يلحظ وجودها ولو لم يكن مُطأطِئ الرأس لرآها، لامت نفسها على سوء اختيارها للمكان، فماذا لو كان رفع رأسه ونظر بعينيه إليها، على كلٍّ الحمد لله أنه لم يرها.

لاحظت يده اليمنى بل اليسرى ولم تجد فيهما أي شيء، أحست بفرحة عارمة داخلها ... ثم انطلقت إلى منزلها لتنام في هدوء وسكينة.

في اليوم التالي وهي في العمل منهمكة في الملف الذي أمامها وممسكة بقطعة من البسكويت تضعها بين الحين والآخر في كوب من الشاي بجوارها وجدت "حازم" يدخل عليها المكتب.

ما هذه الأقدار أيكون قد رآها بالأمس؟ ... إلا أنها تكاد تجزم أنه لم يرها... وما الذي كان يغضبه منها طوال هذه الفترة .... أيكون اشتاق لها كما اشتاقت له إلا أنها كانت أكثر اشتياقًا منه وسبقته بيوم؟

التقت أيديهما في عناق طويل ونظر كُل منهما إلى الآخر نظرة عميقة وحزينة معًا كأنه عتاب .... لم يدرِ أي منهما من يعاتب الآخر وكيف يعاتبه.

ألم يكن اتصالها على هاتفه ليلًا بوابه له للعبور ... لا تعلم أن كثرة التفكير تعكر صفوها، كان حزينًا جدًّا، تخبرها عيناه برغبته في البكاء ... بل تشعرها حركه جسده بالانكسار.

مد يده بسرعة وأخذ قطعة من البسكويت الذي أمامها ووضعها في الشاي ثم التقمها قائلًا: أول مره أحس إن طعم البسكويت في الشاي حلو أووى كده.

ضحكت من قلبها نسرين، إنه يضحكها رغمًا عنها، رغم كل جديتها إلا إنه يستطيع أن ينتزع منها الضحك رغمًا عنها... يعجبها طريقته في الهزل وطريقته في الجد، يعجبها

صامتًا وهادئًا وعاصفًا ... يعجبها طريقته في العمل وطريقته في اللبس وطريقته في الكلام، إنه يعجبها في كل الأحوال.

تكلم معها كثيرًا في العمل دونما مبرر، كان كلامه مختلقا وبلا جدوى إلا أنها تجاريه ويعلم هو كذلك أنها تجاريه. إنه يختلس النظرات إليها بين الحين والآخر، إنه يريد أن يخبرها بشيء ما ثم سرعان ما يتراجع أو لا يستطيع.

لم تستطع أن تفهمه إلا أنها شعرت أنه مختنق ويريد أن يبكي، تمنت لو ارتمى في حضنها وتمنى هو أيضًا .... جلسا صامتين برهة من الوقت بلا ملل.

إنهما يرتحان بالقرب من بعضهما البعض إن هذه اللحظات هي اللحظات الوحيدة الآمنة التي لا تجمح فيها نسرين بخيالها بعيدًا.

لم يتكلم عن ابتعاده الفترة السابقة أو عدم اتصاله ولم يبدِ أي اعتذار لعدم الرد، ولم تستطع أن تسأله أو حتى تعاتبه.

أخبرها أن تأتي إليه بعد غد لأن البرنامج تعطل وأخبرته أنها ستأتي.

تقابلا بعدها العديد من المرات في هذا النطاق كان ينتظرها ليشربا معًا القهوة ويخبرها أنه لم يشرب القهوة حتي تأتي، كانت سعيدة نسرين بذلك وتشعر أنها تولد من جديد في وجوده .

إنه يكون سعيدًا جدًّا كالطفل الصغير عندما تأتي وعندما يقف بجوارها ولا يستطيع أن يداري ذلك الشعور .... كان كثيرًا ما يهرع إلى المصعد ليستقبلها.

إنها تحبه وتعلم أنه يحبها بل يعشقها، وحين تهاجمها الأفكار السلبية تحدث نفسها بين حين وحين إنه إنسان مهذب ومحترم ليس هدفه أن أتعلق به وإلا لبادر بالاتصال في كل وقت وكل مكان ... ثم سرعان ما تعاود التفكير ... وقد تكون عدم مبادرته لأنه يعلم أنها من الفتيات المحترمات التي لم تقبل أن تتحدث مع شاب دون علاقة رسمية وو .... وو .... و ....

هل تريد أن تتزوجه؟ عندما يأتي هذا السؤال إلي ذهنها تدخل في حالة من الحزن ومن ثم تبعد عنه لفترات ثم تعود.

أيكون عدم رغبتها في الزواج تبعده عنها بالرغم منها... ليتها تستطيع أن تأخذ قرارا في أن يضع حدًّا لهذا الموضوع أو تتركه بلا رجعة ... إنها في المنتصف فلا هي تستطيع أن تقدم ولا تستطيع أن تدبر ... إن المنتصف هو أصعب الخيارات.

دخل عليها محمود المكتب وكانت معاملته لها قد تغيرت في الفترة الأخيرة فلقد يئس من جدواه وكان يشعر بشيء بينها وبين حازم.

قال لها: باركيلي مش أنا خطبت.

نهضت من على مكتبها وقالت له بصدق وحرارة: ألف مبروك يا محمود أنت تستاهل كل خير.

شعر محمود بألم من صدق مشاعرها فرد عليها قائلًا: عقبالك، ثم تمتم قائلًا: ولكني ماعتقدش أنه ناوي على حاجة.

ردت عليه بعنف وقد نفرت عروق جبهتها: أنت بتقول إيه؟!

إلا أنه قال لها بتهكم وهو يغادر المكتب: لا بكح.

لم تقصد نسرين أن تجرحه ولم تفعل ذلك يومًا فلماذا قسا عليها إلى هذا الحد؟ ... لو يعلم ما بداخلها لأشفق عليها ولربما أحس بعمق جرحها.

أحست بألم في صدرها ورغبة في البكاء إلا أنها في هذه المرة لم تستطع أن تبكي، يبدو أن جراحها اليوم أقوى من أي بكاء.

لماذا كلما هدأت نسرين وأحست ببصيص من السعادة أظلمت الدنيا في عينها مرة أخرى؟ أهي الأقدار؟ ... أم أنها معركتها التي تعترك بداخلها؟

ذهبت إلي حازم في اليوم التالي وقامت بتعديل أشياء في النظام ثم أخبرته بحدة وحزم أو فلنقل بقسوة أنه لن يكون هناك أي داعٍ لتعديل النظام بعد ذلك وأن الشركة لن تستطيع أن تقدم أكثر من ذلك وإذا حدث خلل مرة أخرى فيمكنه أن يستعين بشركة أخرى.

فهم الرسالة و نظر إليها بعينين يلمؤهما الدهشة والتوتر، يعلم أنها تريد أن تقول له بأنها النهاية وبأنها لن تأتي مرة أخرى.

سكت لحظات وسكتت هي أيضًا ثم قال- متلعثمًا- شيئًا لم تفهمه شعرت أنه يشعر بالخوف والارتباك، آلمها كثيرًا أنها تسببت له في كل هذا، إنها تحبه ولا تراه سوي فارس والفرسان لا يتلعثمون ولا يرتبكون، تمنت لو تأخذه في أحضانها في هذه اللحظة ولكن كيف لها أن تفعل ... ودعته مع نظرة ألم ولم يستطع أن ينظر إليها وانصرف كل منهما إلى أحزانه وآلامه .. ليته بادر بشيء أو بادرت هي ... لا هو جَرُأ ولا هي تستطيع.

أتكون هذه هي النهاية؟ ... أيكون هذا هو آخر لقاء بينهما؟ من يدرى لعله يكون؟ وربما لا، فلا يعلم الأقدار إلا صاحب الأقدار ... ونسرين دائمًا تتمنى لو كانت تعلم الغيب.

ركبت سيارتها والدموع تملؤ عينيها ونظرت إلي المستشفى قليلًا ثم استدارت أما هو فلا تعلم كيف حاله أو فيما يفكر وليتها كانت تعلم.

مضت نسرين مكسورة القلب والخاطر كعادة الأيام معها منذ طفولتها إلا أنها اليوم أشد انكسارًا وزهدًا في الحياة ...

هناك أحداث تمر بنا لا نستطيع بعدها أن نعود سالمين مهما حاولنا ... ونسرين لم تعد قادرة على المحاولة من جديد أو بمعنى أصح على المعافرة مع الحياة أكثر من ذلك.

مضت بها الأيام تجبرها على الحياة وتستمد الإعانة لها على الحياة من الله لكنها لم تعد تشعر بأي سعادة أو تعاسة منذ غادرت "حازم" ... وأصبحت الأيام كلها تماثل بعضها البعض.

ها هو جرس الباب يرن بقسوة فقد أصبح صوت الجرس يزعج نسرين جدًّا ... وهل يزداد صوت الجرس علوا يومًا بعد يوم!! .. أم نحن الذين تتغير قدرتنا وطاقتنا على الاستيعاب.

إنه الرجل صاحب عربة البرتقال الذي يمر في الشارع دائمًا.

تندم نسرين منذ أن نادت عليه مرة واشترت منه بعض الكيلووات ... فكلما أتى إلى الشارع ذهب إلي شقتها بالبرتقال ... ذهبت نسرين فزعة جدًّا إلى الباب وفتحته، قالت له بعصبية شديدة: لماذا ترن الجرس هكذا؟

فقال لها: لقد ضربته مرة واحدة فقط.

فقالت له: وهل ناديت عليك؟

قال لها: خفت تكوني تعبانة ولا مش قادرة تطلعي تنادي ... الحق عليا.

تذكرت نسرين أنها لم تعد تقدر على شراء حاجتها كلها من السوبر ماركت وأن هذا أكثر راحة لها.

هدأت نسرين وابتاعت منه كعادتها وسقطت من يديها برتقالة وهي تمسكها بيديها فناولها إياها فلم يعد ظهرها يطيعها في الانحناء.

نعم مرت الأيام سريعًا، أسرع مما يتصورها أحد وأصبحت نسرين عجوزا قد احتدب ظهرها ووهن جسدها ... إنها الأيام تفعل بنا كما فعلت مع أسلافنا.

ومن منا لا يشيب ... نظر غلام يومًا إلى رجل قد تحدب ظهره وابيض شعره وقال له: يا هذا ما هذا الذي بك؟ .. فقال: أهدانيهُ الزمان وسيهديك إياه.

إنها اليوم عجوز ولكنها لا تزال أنيقة في ملبسها ... أخذت تنظر إلى النقود قبل أن تعطيها له فقد شح البصر .. فكما ولدنا في ضعف نعود إلى ضعف مرة أخرى ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾[٤] .

---

[٤] الرحمن: ١٣

أصبح أبناء أخيها شبابا وكانت ابنته مايا بالذات صديقة لها فدائمًا ما تجلس إليها لتستشيرها في الكثير من الأمور.

قالت لها بعد أن أخذت البرتقال وذهبت لتقبع في سريرها: عمتوا آخر مرة لم تكملي لي حديثك عن الدكتور حازم.

امتلأت عيناها بالدموع كعادتها ثم سرعان ما تماسكت.

قالت مايا: عارفه يا عمتو أنا كنت حاسة أنه متيم بك و بيحبك جدًّا.

أصبحت نسرين تأخذ هذا الموضوع بصدر رحب عن ذي قبل فقد كان هذا هو الموضوع الوحيد الذي تحتفظ به بداخلها عن الجميع فلم تعرفه أي صديقة أو قريبة سوى رانسي ... حتى إن أخاها لم يكن يعلم عنه شيئًا.

قالت لها نسرين: سرعان ما تراجعت في القرار ورجعت إلى الذهاب إليه، وظل هو كذلك في مطاردته لي وفي الإعجاب والانبهار بي وأصبح عميلا لدينا لا ينتهي، وكلانا يعلم أنه لا داعي لذهابي من حين لآخر ولا لمجيئه.

ولكن قوة ارتباطنا النفسي ازدادت يومًا بعد يوم ولا أحد منا قدر على تجاوز هذا الحد ... كانت علاقة من نوع غريب إلا أنه في الفترات الأخيرة أصبح في أعيننا دائمًا تساؤل ولكن لا أحد يجيب عنه ... وبعد قراري بعدم الذهاب إليه مرة أخرى في المستشفى كنت أذهب مرات ومرات بعد انتهاء العمل لأراه من بعيد وهو داخل

وخارج إلى المستشفى وهو لا يعلم عن ذلك شيئًا، فأعود في كل مرة بعد رؤيته سعيدة ومسرورة ولكن لم أزد عن هذا ولم يزد أيضًا.

- ليه يا عمتوا لم تبادري.

- صدقيني مش عارفه ... وليه ماسألتوش صدقيني برضه مش عارفه.

- هو اتجوز يا عمتو؟

- لا.

- طيب مش غريبة يا عمتو إن هو ماتجوزش.

- مستحيل كان يتجوز يا مايا.

- ليه يا عمتو.

- لو كان هيتجوز كان اتجوزني.

دقت رانسي جرس الباب فقد أصبحت أشد عجزًا من نسرين على الرغم من أنها تصغرها بقليل، بمجرد دخول رانسي البيت تشع فيه بهجة وسرور كعادتها .... خرجا يتنزهان سويًا.... لم تعد نسرين تقود سيارتها كما كانت فقد أصبحت لا صبر لها على الزحام ... أخذا يتمشيان يمنة ويسرة ثم سرعان ما أصابهما التعب وتوجهت كل واحدة منهم إلى منزلها.

في طريق نسرين إلى المنزل أخذت تسرح بخيالها كما كانت فهي لم تتغير في شرودها الدائم ... فطباعنا لا تتغير .

نعم نهرم وتتغير بداخلنا أشياء كثيرة على مدار حياتنا ويتبقى معنا طباع مجبولون عليها شئنا أم أبينا.

سرحت في حياتها، في طفولتها، في أمها وأبيها، فلقد أصبحت في اشتياق دائم إليهما.

لو تعلم نسرين أنها ضحية لهما وأنهما أضاعاها لو تعلم ذلك .... أين ستكون مشاعرها الآن؟

شردت وشردت ومضت أيام عمرها أمامها كشريط طويل حتى وصلت إلى حازم فأخذت تتذكر ضحكاتهما ونظراتهما وعناق أيديهما.

لم تنتبه في تخيلاتها إلى هذه الطوبة الكبيرة الملقاة أمام مبنى تحت الإنشاء وكادت أن تسقط على الأرض، إلا أن أحدهم أمسك بها سريعًا من الخلف وأحال بينها وبين الأرض كي لا تقع، فوقفت على الفور معه ممسكة ظهرها الذي أوجعها بشدة ثم استدارت لتشكره متوقعة أن يقول لها العفو يا أمي أو يا حاجة، هذه الكلمة التي سئمتها نسرين في الفترة الأخيرة من عمرها ... فمهما نكبر نشعر بأننا صِغار.

استدارت فوجدته رجلًا عجوزًا قد أبيض شعره وامتلأ وجه بالخطوط العميقة التي تحمل في طياتها رحلة أعوام.

دقق كلاهما النظر إلى بعض فقد شح البصر وضعفت الذاكرة إلا أن القلوب لا تنسى أبدًا من سكنها ... نعم ... إنه الدكتور حازم ... يااااه ... لم تره منذ عشرين عامًا ولم تذهب لرؤيته دون علمه كما كانت تفعل طوال عشر سنين بعد آخر مرة زارته في المستشفى.

ورغمًا عنها سقطت عيناها لتنظر إلى كلتا يديه كي تعرف أيكون قد تزوج أم لا وكذلك فعل هو ... فوجدا كلتا أيديهما فارغة من أي خاتم للزواج.

لماذا تفعل القلوب بنا هكذا؟

تبسما رغمًا عنهما ولم ينبسا ببنت شفة ومضى كل واحد منهما في طريقه دون أي كلمة.

سرحت بخيالها وأخذت تتذكر ملابسها وهي خارجة اليوم وتلوم نفسها على أنها لا يجب أن تخرج وهي مجهدة وأنه كان يجب عليها أن تفعل كذا وكذا وكذا ... إنها ما زالت تلوم نفسها ليلًا و نهارًا على كل شيء ... لماذا لم ترفق بنفسها قليلًا حتى في آخر العمر؟

وكيف ترفق بنفسها وهي ضحية عدم الرفق بها؟

ضحية لتربية اللوم والعتاب والعقاب على أتفه الأسباب.

تذكرت كيف كانت جميلة يعجب بها الجميع وتهفو نظرات الرجال إليها.

نظرت إلى المرآة وضحكت قائلة: عندها حق مايا كيف تصدق إن هذا الوجه المتدلي الباهت كانت كان يؤسر القلوب والعقول.

وجمت للحظة وتساءلت كيف رآها حازم اليوم؟ ... أرآها عجوزا ولى جمالها وتحدب ظهرها .... عجوزا أصبح عليها حرج في أن تتزين وتهتم بنفسها ... دخل الحزن إلى قلبها ومنذ متى كان غادرها؟

لو تعلم ما شعر به حازم عندما رآها .. لو تعلم أنه منذ رحلت أصبح لا يتكلم إلا قليلًا جدًّا .. لو تعلم أنه أراد أن يتوقف الزمن ويبقيا معًا .. لو تعلم كيف تمنى أن تطول هذه اللحظات .. لو تعلم أن "حازم" يراها بعينين مختلفتين؛ لقد عشق روحها قبل ملامحها وجسدها ... والروح لا تهرم أبدًا، لقد رآها جميلة كما كانت بل أجمل مما كانت ... ليتها تدري.

لو تعلم أنه لم يلقها مرة إلا وأراد أن يخبرها بحبه ... فقد كان يعشقها ويرى فيها الحب والجمال والأنوثة ... إلّا أن شجاعته سرعان ما تخونه وتولى الأدبار.

خلدت إلى النوم وتذكرت "حازم" فابتسمت، ما زال باستطاعة قلوبنا الهرمة أن تحب وتسعد.

استيقظت نسرين فرحة من نومها وفتحت شباكها بعنف مقبلة على الحياة، وعلى الجانب الآخر فعل دكتور حازم فلم يعد يذهب إلى المستشفى كثيرًا فاستيقظ في

هذا اليوم مبكرًا وبه طاقة هائلة من السعادة وفتح شباك حجرته بنفس القوة التي فعلتها نسرين بل وأشد.

فقد كان يحبها حبًّا يفوق الخيال وكان يعلم أنها تحبه هي الأخرى وأنها تتمناه و ترتضيه زوجًا ولكنه لم يستطع أن يفعل أكثر من ذلك لقد خشى من نظرات الشفقة في عينيها.

لقد أحبته نسرين حبًّا يضاعف حبه .. لو كان يعلم أنه أول حب لها، لو كان يعلم أنه أول رجل يخفق له قلبها، لو كان يعلم ماذا يعني حضوره وغيابه عنها، لو كان يعلم أنها لم تستطع أن ترى رجلًا دونه أو ترغم نفسها على الزواج بغيره ... فكل الرجال دونه سواء ... فلقد أحبته حبًّا ملك عليها شغاف قلبها.

لو كان يعلم كل ذلك ربما لصارحها ولكن أنى له أن يعلم ذلك وهي حبيسة لسياج من المشاعر السلبية زُرع بداخلها منذ طفولتها.

استقبل كل منهما الصباح بسعادة قدر لها ألا تكتمل أبدًا ... ثم استدار كلٌّ منهما إلى فراشه ليجده مبللًا كعادتهما منذ الطفولة كل صباح وإلى الآن ما لم يأخذا احتياطاتهما وحذرهما.

نعم فلقد كان هذا حصارًا عنيفًا ورادعًا قويًّا لكل منهما على عدم الاقتراب من الحبيب، كبرياؤهما تمنعهما في كل مرة ويحول بينهما... ليتهما تجرآ أو صارحا بعضهما البعض .. ليتهما أقدما على العلاج دونما حرج.

لو يعلم كل منهما أن كليهما مبتلى بنفس الأمر.

لو يعلما أدهى من ذلك لو يعلما أن هذا المرض هو مرض نفسي في المقام الأول.

لو يعلما أن تربيتهما القاسية هي السبب فيما هما فيه ... فهي نتاج تربية قاسية وهو نتاج تربية الجهل.

لو يعلما أن كل واحدٍ منهما كان يملك نفسية مضطربة خائفة فقط ... ولو أنهما شعرا بالأمان لزال عنهما ما هما فيه.

لو يعلما أنهما الآن ما يفعلان ذلك إلا بأمر من العقل الباطن الذي يكرر الأفعال ليس إلّا.

لو يعلما ... ولكنه قدر الله على كل حال ... فلو تفتح عمل الشيطان.

عندما يكون لدينا خلل ما في أي جزء في حياتنا يصبح بداخلنا شيء ما يمنعنا أن نتصرف كما يحلو لنا.

إن نظرات أمها اللائمة لها دائمًا كانت بسبب أن فراشها مبللٌ.

إن السرير الذي كانت تنظر إليه هي وأمها بمجرد دخولها إلى الحجرة كان مبللًا.

إن لوم أمها يوم اجتمعا مع أبناء أعمامها وتوبيخها أمام باقي الأطفال في الصباح كان لأن فراشها مبللٌ.

إن عدم رغبتها في أن يبيت أحد معها حتى رانسي كان بسبب أن فراشها قد يكون مبللًا.

إن عدم إقبالها على الزواج وحماسها له كان بسبب أن فراشها قد يكون مبللًا.

لذا يجب على الآباء والأمهات أن يتعلموا كيف يكونوا آباءً وأمهات ... فالتربية ليست بالشيء الهين اليسير فهي الأمانة التي عرضت على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلومًا جهولًا.

للأسف ليست الجنة تحت أقدام كل الأمهات والآباء، قد تكون النار أقرب إليهم.

إن من يريد أن يصبح طبيبًا يدرس الطب ويدفع كل نفيس وغالٍ ليصبح طبيبًا وكذلك يفعل المهندس والمدرس والظابط وكل المهن.

لذلك على من يريد أن يكون أبًا أو أمًّا يجب عليه أن يتعلم كيف يكون أبًا أو أمًّا ... كيف يتعامل مع مشاكل أبنائه وسلبياتهم قبل إيجابيتهم .... قبل أن يتحملا الأمانة فلا يستطيعا أن يتحملاها فيضلا أجيالًا بدون علم ويضيعا شبابًا وشابات دون أي جرم اقترفوه سوى أنهم أبناء لآباء وأمهات لا يفقهون القدرة على التربية النفسية الصحيحة.

يجرم الآباء والأمهات في حق أبنائهم عندما يرهبونهم أو يزرعون في داخلهم الخوف والرعب من كل شيء.

إن عقاب نسرين الدائم من أمها وأبيها ونظراتهما اللائمة لها دائمًا كانا السبب في تفاقم حالتها إلى الآن .... وعلى كلٍّ لا نملك إلّا أن نطلب لهما الرحمة فربما فعلا ذلك عن جهالة.

منذ أن رأت نسرين "حازم" بعد عشرين عامًا اشتعل الحب في قلبها مرة أخرى ... إن العشق في قلوب العاشقين كالنار قد تخبت بعض الوقت ولكن سرعان ما تشتعل مرة أخرى.

إن القلوب لا تهرم أبدا ولا تفقد رغبتها في الحب ... إنها تحيا بالحب وللحب.

رجعت كعادتها ولكن بشكل أقل كثيرًا مما مضى فما بين الحين والآخر تنزل وتمشي على هون وبخطوات متثاقلة وتنتظر من بعيد بجانب المستشفى؛ كي تراه، وقليلًا ما كانت تراه فإذا ما رأته وجدته حزينًا مكسورًا كأول مرة رأته فيها.

فتمضي إلى بيتها سعيدة ... غريبة هي قلوب النساء وعقولهن، إن حزنه يشعرها أنه ناقص من دونها ربما لو رأته مرة سعيدًا لكرهته ولقُتل الحب بقلبها ... فهي لم تره من قبل سعيدًا أبدًا إلا في حضورها.

استمرت على هذه الحال لمدة عام إلا أنها في الشهر الأخير لم تظفر ولا مرة برؤيته، ولم تعلم لماذا؟

دخلت المستشفى متعللة بحجة واهية ومن ثم سألت عليه فأخبروها أنه في أجازة ولم تستطع أن تعلم أكثر من ذلك.

في اليوم التالي كانت معها رانسي طوال اليوم وكثيرًا ما تكلما عن موضوع حازم ... فلقد صارتا عجائز لم يعد لديهما الكثير ليثرثرا فيه سوى الماضي وربما ضعف الذاكرة كان السبب في إعادة الحديث كل برهة.

في المساء خرجت لتشتري بعض الأدوية من الصيدلية المجاورة فلم تجد المسكن الذي اعتادت عليه فوصف لها الرجل مكان صيدلية أخرى يعلم أنه موجود فيها فلم تعد كل الأدوية متوافرة في الصيدليات كما مضى.

مشت إليه نسرين فهي لم تعد تقدر على أن تحيا بدون المسكن ... وكانت بجوار الكورنيش فدخلت الصيدلية وبالفعل وجدته.

أحست نسرين بالنشاط والحيوية تدب في أوصالها ووجدت نفسها مدفوعة للمشي في اتجاه معين ولم تعلم لماذا ظلت تمشي دونما شعور بأي تعب. إلى أن سمعت

صوت قرآن عالٍ وكان الشيخ يقرأ سورة يوسف ويقول: ﴿ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ﴾[٥] فتذكرت "حازم" الذي لم تكن لتنساه يومًا فرفعت رأسها إلى حيث الصوت فوجدت دارا للعزاء قد أقيمت سرادقها فنظرت إلى الاسم لتقرأ وفاة الدكتور حازم أبو .....

أحست برعشة قوية في جسدها وأصبحت رجلاها لا تقدر على أن تحملها و كادت أن تسقط ... إلَّا أن الله تداركها بلطفه.

ظلت تنظر إلى الاسم كثيرًا غير مصدقة أو مستوعبة ... أين هو الآن؟ أيكون في التراب؟ ... لم يبقَ منه إلا لوحة مكتوب عليها اسمه.

ومَن هؤلاء الذين يأخذون العزاء؟ ... لا تعرف أحدًا منهم ... إنها أحق بأن تأخذ بالعزاء منهم ... بل إنها أحق بأن تُعَزى.

أيحبونه أكثر منها؟، بالفعل لا ... كيف وهي التي أحبته دونًا عن الجميع ورأته وطنًا لها؟ .. إنها تريد أن تصرخ ... أن تشق عن صدرها، إن قلبها يتمزق تمزقًا لا يعلم قدره إلا الله.

---

[٥] يوسف: ٣٠

رأت مجموعة من النساء، همت لتذهب فكيف لا تذهب؟ ... ومن يحول بينها وبينه الآن ... ولكنهن لا يعرفن أنها الأقرب إلى قلبه ماذا ستقول لهن؟

أحست أن الدنيا كلها تضيق بها، إلى أين تذهب؟ إلى من تستجير؟ من يواسيها في مصابها؟ من يشعر بها وما هو المصاب؟ أيكون موت حبيب لم تجمعها به الأقدار ما عساها أن تقول؟

ماذا تقول؟ ولمن تقول؟، نارٌ مشتعلة في الصدر ... آلام تفوق كل الآلام التي وجدت على الأرض ... لقد كانت تحيا وتستمد قوتها لوجوده في الحياة.

ولكن ماذا عليه؟ كيف مات؟ متى لقي ربه؟ كيف كان ملك الموت معه؟ أكان مترفقًا رحيمًا به؟ أم كان قاسيًا؟ .. كيف شعر؟ وكيف تألم؟ .. نارٌ تضطرم في قلب نسرين.

لو تعلم نسرين أنه في مرضه الأخير كان يهذي باسمها ليل نهار، لو تعلم أنه لم يرَ حين يفيق من غفوته سوى وجهها هي؟ ... لقد أحبها هو الآخر حبًّا ملك عليه شغاف قلبه .. ولكنه كيف يفعل مع كبرياء الرجل .. لقد فضل كل منهما أن يحتفظ بصورة الفارس والأميرة على ألا يرى نظرات الشفقة في عيني الآخر ... لو نعلم ما تخبئه لنا الأقدار.

استدارات نسرين هائمة، شاردة، حزينة، يعتصرها الألم ولا تدري بأي شيء حولها.

أشارت إلى تاكسي فلم تعد رجلاها تقوى على حملها والعودة إلى منزلها، ألقت نسرين بنفسها في المقعد الخلفي وكأنها تلقي أثقال خمسة وستين عامًا من الهموم. لم ترَ السائق ولا الشوارع ولم تسمع سوى صوت السائق عندما أوصلها. نزلت هائمة، تائهة، تصعد السلم دون أن تدري رغم وجود المصعد لم تنتبه إلى حارس العقار عند دخولها ولم تلق عليه السلام.

إن بداخلها آلامًا أكثر من مليون عام، أحست في هذه اللحظة أنها لم تعد تحتمل أكثر من ذلك. إن بداخلها صراخًا وعذابًا ... لمن تشتكي؟ نظرت إلى جدران الشقة ... أحست بالأرض تميد بها من تحت أرجلها ... فألقت بنفسها إلى الكرسي المواجه للمرآة ... نظرت إليها أحست أنها عجوز قد بقيت في الأرض حتى فني أهلها ... إنها تشعر الآن أن عمرها بليون عام وأنها لم يعد لها مكانٌ على الأرض ... إنها تريد أن ترحل.

أحست بألم في صدرها يعتصرها أنها تريد أن ترثي "حازم" ولكن لمن ترثوه. من الذي ساقها إلى مكانه؟ لماذا عرفت بوفاته؟ أيكون الله يريد أن يخبرها أنه يعلم أنها أصدق القلوب دعاءً له؟ ... أم يكون حازم نفسه أراد أن يخبرها؛ ليسمع صوتها ويشعر بها إلى جواره؟ ولكن لماذا لم يرفق بها؟ ... أم تكون دعوة للحضور قريبًا معه؟

أيقظها هذا الشعور ولم تدرِ لماذا هرعت إلى الحمام وألقت بكل ملابسها وأخذت دشًّا وتوضأت ثم سرعان ما هرعت إلى الصلاة وسجدت طويلًا على سجادتها وأخذت تبكي وتنتحب وتدعو حتى ينقطع صوتها ثم تعود لتدعو له من جديد .... قرابة خمس ساعات تصلي وتدعو حتى هدأت تمامًا وأحست بالسكينة تسري في جسدها كله وأحست بخدر عجيب يسري في عروقها.

قامت من على سجادة الصلاة وذهبت إلى سريرها ناظرة إلى عيني حازم اللتين تراهما في كل مكان ... من الذي يصدقها الآن إذا قالت أنه معها ممسكًا بيديها؟

ثم سرعان ما راحت في ثبات عميق ثبات لا يزعجه نوائب الدهر ولا غدر الأحباب ولا خذلان الأقارب ولا أخطاء الآباء والأمهات.

دخل عليها أخوها في العصر بعد عدم ردها على التليفون طوال اليوم هو ورانسي التي قابلها على السلم وقام هو بالدخول عليها ليراها نائمة كالعروس في سريرها بوجه باسم مفتحة العينين فناداها: نسرين مابترديش ليه على التليفون، إلّا أنها لم تجبه.

ذهب بالقرب منها وقام بهزها فصرخ صرخة دخلت على إثرها رانسي ورأت أحمد يغمض لها عينيها فأخذت تبكي بهستيرية ملقية برأسها على صدر نسرين وكذلك فعل أخوها.

نظرت إليهما نسرين ولكن ليس بشفقة فلم يعد هناك وقت للأحزان فلم يعد سوى الفرح والفرح فقط.

تمضي الحياة بنا ليس كما نتمنى أو يروق لنا ولكن حتمًا يدبر الله لنا الأمور بما هو أصلح لنا.

على كلٍّ فقد صعدت أرواحهما الآن معًا إلى السماء ... ذهبا إلى الله ليمحوا كل ما وجدا من أحزان ... ربما أراد الله لهما سعادة أكبر مما تخيلا أو تمنيا فلقاء الأرواح أسمى من لقاء الأجساد.

ها هو أحمد أخوها جالس في نفس دار العزاء يأخذ عزاءها في نفس موعد عزاء حازم البارحة في السابعة والنصف ... إننا دائمًا على موعد ممنهج من أقدار الله.

بعد ثلاثة أيام ... بعد انتهاء مراسم العزاء في البيت .... قام أخوها بإطفاء الأنوار ليظلم من البيت كل شيء ويظلم إلى الأبد بعد خروج نسرين منه.

إن نسرين تراه الآن وترى بيتها ولا تتوق إلى البيت ولا إلى المكان ولا الزمان.

عادت نسرين أجمل مما كانت كنجمة ترقص في السماء، وحازم أصبح كالقمر يطاردها أينما كانت ويتضحاكان بلا نكد، بلا متاعب، بلا أحزان، بلا دنيا، ليتنا نعلم الغيب لنهدأ قليلًا .... وكيف نعلمه فهو جزء من اختبارات الله لنا في الحياة.

لو كان أحد من أبويها تشبث بيدي نسرين وأمسك بها، ربما تبدل الحال ... لو تجرأ كل منا على كسر حاجز الخوف بداخله ربما سارت الأمور على نحو آخر. ولكن عزاؤنا دائمًا أننا نفر من أقدار الله إلى أقدار الله.

أين هي الآن؟

هي الآن في أحضان حازم يتراقصان ويغمرهما حب ودفء لم يتذوقاه من قبل ويشعران بسعادة لم يعرفاها من قبل ... إنهما الآن لا ينتهيان من الحب أبدًا ... يطيران معًا فيحلو الطيران ويجلسان معا فيحلو الجلوس، ويتهامسان ويتحواران ويتعانقان عناقا لا تشوبه الأكدار.

لم تعد نسرين تريد أن تعرف ما حكمة الأقدار ... وما تخبئه الأقدار وما الحكمة منها. إنها اليوم في شغل فاكهة لم تعد تشرد وتتخيل ولم يعد يطرف لها عين عمّا هي فيه. إنها الآن في سعادة لو وزعت على أهل الأرض جميعًا لفاضت عنهم. هي الآن في جنة الرحمن، في جنة الخلود، إنها في أحضان حازم إلى الأبد .... سعادة ونعيم بلا موت.

تمت